



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في علم الأدلالة

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس (ل م د/LMD)
تخصص: لسانيات عامة

إعداد: الدكتورة جلال سليمة
أستاذة محاضرة (ب)

السنة الجامعية
2020- 2019

لَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ

﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا

يَبُلَىٰ ﴾

طه الآية 120

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الصف الآية 10-11

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا

ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾

الفرقان الآية 45

مقدمة :

لقد تأخر ظهور علم الدلالة عن باقي العلوم اللغوية لأن موضوعه كان يطرح إشكالية علمية الدراسة التي تتطلب الوصف والتقنين، والمعنى بطبيعة الحال يستعصي على ذلك. ولا يعني هذا التأخر أن موضوع الدلالة في حد ذاته حديث النشأة، بل على العكس تماما إنه وليد التفكير الإنساني في شتى المجالات.

فالمعنى من القضايا التي شغلت الفلاسفة وعلماء الدين واللغة والبلاغة وغيرهم، ولا تزال. لذا فإن العودة إلى التراث العربي تُغنيننا عن إثبات هذه الحقيقة التي تعتبر من البديهيات. ولكن جهود الترائين وإن عَظُمت في مجال الدراسات الدلالية -وهذا بعض مما تضمنته هذه المحاضرات- لم يسعها مستوى التفكير العلمي آن ذاك، من تحديد دراسة الدلالة كعلم مستقل كما فعلت مع باقي العلوم اللغوية .

ويرجع السبق في استقلالية علم الدلالة إلى جهود الغربيين الحديثة، وإذ يتحقق ذلك فلا يعني أنه قد حُلت إشكالية دراسة موضوعه وهو "المعنى"، بل ازداد الخلاف حول الكيفية والمنهج المناسبين لدراسة الدلالة، بحيث تلتزم بمعايير وشروط العلمية، فتضاربت آراء النظريات من مختلف المشارب الفكرية، ينتقد بعضها بعضا، وهذا حال كل العلوم وطبيعة سيرورتها.

بناء على ما تقدم فإن دراسة علم الدلالة ذو أهمية بالغة للطالب لأن دراسته استكمال لمسار تكوينية في تخصصه اللسانيات؛ ذلك أن الدلالة أهم مستوى من مستويات اللغة لأنه وثيق الارتباط بباقي مستويات اللغة الأخرى (الصوتي، الصرفي، النحوي) فلا تظهر أهميتها إلا من خلال الوقوف على دلالاتها، وهذا ما يتضح جليا من خلال هذه المحاضرات، التي نتوخى منها أن تُحقق الأهداف الآتية :

- أن يدرك الطالب إشكالية صعوبة دراسة المعنى وطبيعة العلاقة بينه وبين الدلالة وما ترتب عنها في الدرس اللساني.

- أن يتعرف على الأسباب الكامنة وراء التطور الدلالي للألفاظ ومظاهره، ومن خلال ذلك يتعلم كيف تنمو اللغة لتواكب التقدم الحضاري والعلمي .
- أن يتبين موقع الدلالة من اللسانيات الحديثة بمختلف اتجاهاتها (البنوية، التوليدية، الوظيفية) ليدرك أهمية الدلالة في بناء النظرية اللسانية .
- أن يتمكن من دراسة النصوص دراسة دلالية من خلال معرفته لأنواع الدلالة اللغوية من جهة، ومن جهة أخرى من خلال دراسته للنظريات الدلالية وما قدّمته من إجراءات منهجية كنظرية الحقول الدلالية. ولا يتحقق هذا إلا بالتكامل بين المحاضرة والأعمال الموجهة.

نقدم هذه المحاضرات لطلبة السنة الثالثة (ل م د) وفق البرنامج الوزاري المبرمج، مع ملاحظة أن هذه المادة مبرمجة في السنة الثانية (السداسي الثالث)، مع وجود تشابه في بعض المفردات؛ كالتغير الدلالي ومظاهره، ونظرية الحقول الدلالية. لذا فقد انطلقنا في إعداد هذه المطبوعة على اعتبار أن للطلبة مكتسبات قبلية في الموضوع، قد لا تحوجنا للرجوع إلى تتبع المسار التاريخي لبعض القضايا الدلالية كنشأة علم الدلالة مثلا، بل أشرنا إليها حسب ما تقتضيه الحاجة.

وعليه فقد سعينا إلى بناء مادة علمية تركز على الأساسيات المفترض معرفتها بخصوص كل موضوع، مع الإشارة إلى التفريعات دون الخوض فيها لطبيعة المحاضرات المرتبطة بحجم زمني محدد. لذا جاءت المحاضرات في شكل دروس حاولنا أن نبسط فيها المعرفة ونوثقها بالشكل الذي تعين الطالب على التوسع في المعرفة من خلال تنوع المراجع، وهي على كثرتها في موضوع علم الدلالة إلا أنها تكاد تتضمن المعرفة ذاتها؛ جزء منها يعتمد على كتب التراث والجزء الآخر على الكتابات الغربية في هذا المجال، يحتفظ بعض منها حتى بالشواهد والأمثلة الأجنبية مما يقلل من إفادتها، وهكذا سارت أغلب الكتابات العربية تتشارك ما تنقله عن الكتابات الغربية، محاولة تطبيق بعض ما جاء فيها على المدونات التراثية أو الحديثة.

لذا حاولنا الاستفادة مما توفر لدينا من مراجع لنعرّف الطالب بالموضوعات المبرمجة في دروس اشتملت على العنصرة المنظمة والتي راعت التدرج في بناء المعرفة؛ فقد افتتحنا أغلب المحاضرات بتمهيد- وإن لم نسمه بذلك - نضع من خلاله الطالب في أجواء الدرس ونشرح ما نحن مقبلين عليه، وأنهيناها بخلاصة تُوجز أهم ما جاء فيها وتُبين الفائدة من ذلك. وقد اعتمدنا على الشواهد والأمثلة البسيطة كلما اقتضت الضرورة لتيسير فهم الدروس وتحقيق الهدف منها.

وختام هذه المحاضرات جملة من النتائج تُبين للطالب خلاصة ما كان ينبغي أن يتوصل إليه من خلال دراسته لموضوع علم الدلالة .

وبالله التوفيق، وله الحمد والمنة من قبل ومن بعد.

المحاضرة الأولى:

مدخل : بين الدلالة والمعنى

مما ينبغي أن تذكره غير متناسيه؛ أنك قد درست علم الدلالة في السداسي الثالث من مسارك التعليمي، وبالتالي لديك مكتسبات قبلية حول الموضوع نأمل أن تستثمرها في هذه المحاضرات لأنها تذكير وإثراء لزدك المعرفي. وعليه فإن هذا المدخل هو استذكار لما درست حول موضوع الدلالة والمعنى ومفهومها لغة واصطلاحاً باقتضاب من دون خوض في التفاصيل، بغية إثارة النقاش حول طبيعة العلاقة بينهما، من خلال رصد مواقف بعض الباحثين حول هذا الموضوع، لا لنلزمك برأي بعينه وإنما لنقدم لك حججهم ، ولك بعدها أن تؤيد من شئت إن رأيت حجته هي الأقوى .

1 - تعريف الدلالة لغة واصطلاحاً:

لغة: جاءت لفظة (دَل) في معاجم اللغة بمعنى الإبانة والسداد والإرشاد؛ ف(دل) الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، كقولهم دَلَّتْ فلاناً على الطريق. والدليل الأمانة في الشيء وهو بين الدلالة والدلالة.¹ يشير ابن فارس إلى أن الدلالة هي إبانة تقتضي وجود وسيط لتحقيق الفهم والعلم بالمعلوم، وهذا المعنى هو الأقرب للمعنى الاصطلاحي لأن المعنى الثاني؛ وهو الاضطراب بعيد عن ذلك.

كما نلاحظ أنه لا يوجد فرق بين أن تقول دَلَّالة بالفتح أو دِلالة بالكسر، وإن كان ابن منظور يرى أن الفتح أعلى ويضيف أيضاً نطق الكلمة بالضم في قوله "يدلّه دلاً ودَلالةً فاندلّ: سدّدّه إليه، ودَللْتُهُ فاندلّ. وقد دلّه على الطريق، يدلُّه دَلالةً ودِلالةً ودُلولةً، والفتح أعلى. وأنشد أبو عبيدة: إني امرؤ بالطرق ذو دلالات. والدليل والدليلي: الذي يدلُّك، والجمع أدلة وأدلاء.²

¹ أبو الحسن احمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، 1979،

ج2، ص 259

² ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص 1414.

نستخلص أن المعنى اللغوي لدلالة قائم على معنى الإبانة أي التوضيح سواء كان للشيء أو للطريق، وهذه الإبانة تحتاج إلى وسيط (أمانة)، وهذا المعنى هو جوهر المعنى الاصطلاحي.

اصطلاحاً: يعرف الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات الدلالة اصطلاحاً، بأنها "كون الشيء بحالة، يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني المدلول.¹ فالدلالة هنا تجسدها طبيعة العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول، فحتى نتعرف على الدال لا بد أن تكون لنا معرفة بالمدلول وإلا أصبح الدال مجرد أصوات بلا معنى، فتحديد معنى الدال متوقف على ما يعنيه المدلول.

وهذا التعريف هو الذي اشتهر به التراث العربي بمختلف علومه وعند أغلب الدارسين على اختلاف مشاربهم، وهذا ما يغنيننا عن تتبع أقوالهم. والتعريف ذاته لا يختلف كثيراً عن تعريف دي سوسير مؤسس اللسانيات الحديثة حين حدد عناصر العلامة اللغوية في الدال وهو الصورة الصوتية والمدلول وهو الصورة الذهنية.

ومع أن الاهتمام بموضوع الدلالة قديم قدم الاهتمام باللغة إلا أن استقلاله كعلم بذاته له مناهجه الخاصة إنما هو وليد الدراسات اللغوية الحديثة، لذا يُعزى أول استخدام لمصطلح *semantique* للغوي الفرنسي بريال (Bréal) سنة 1897 وورد هذا في كتابه مقال في علم الدلالة *Essai de sémantique*. وقد صيغت كلمة *sémantique* الفرنسية من اللغة اليونانية، ويعود أصلها إلى الكلمة *sema* التي تعني "علامة". وتجدر الإشارة إلى أن استعمال هذا المصطلح لم يقصد به دراسة المعنى في بداية الأمر وإنما استخدم للإشارة إلى تطوره، وهذا ما أطلق عليه بالمر اسم "علم الدلالة التاريخية".² أما علم الدلالة فقد عرّفه: بأنه العلم الذي يدرس المعنى، وإن لم يكن هناك اتفاق حول ماهية المعنى وطريقة وصفه.³ وهذا ما

¹ الشريف الجرجاني علي بن محمد: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، ص

.91

² ف ر بالمر: علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص

.10

³ المرجع نفسه، ص 9.

يطرح فيما بعد إشكالية العلاقة بين الدلالة والمعنى؛ لأنه لو تحدد المعنى ببساطة وتبينت كيفية دراسته لما استمر الجدل حول هذا الموضوع.

وسار الباحثون العرب المحدثون في التعريف بعلم الدلالة كما نقلوه من الدراسات الغربية عن طريق الترجمة، لذا ورد في كتاب "علم الدلالة" لأحمد مختار عمر عدة تعاريف لهذا العلم نذكر منها: "هو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو هو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى".¹ فموضوعه علم الدلالة بالنسبة لأحمد عمر مختار كل ما يتعلق بالعلامة أو الرمز سواء كانت العلامة لغوية أو غير لغوية. وقد حدد مجالاته في ثلاثة محاور رئيسية:²

المحور الأول: يشكل العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول، والمنعكسات الاجتماعية والنفسية والفكرية.

المحور الثاني: التطور الدلالي (أسبابه وقوانينه والعلاقات السياقية والموقعية في الحياة والعلم والفن).

المحور الثالث: يتصل بالمجاز وتطبيقاته الدلالية وصلاته الأسلوبية.

2 - تعريف المعنى لغة واصطلاحاً:

لغة: يعرفه ابن فارس المعنى بأنه: القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بحث عنه، ويقال هذا معنى الكلام ومعنى الشعر أي ما يبرز من مكون ما تضمنه اللفظ.³ والمعنى عند الشريف الجرجاني " ما يُقصد بشيء".⁴ فالمعنى يتعلق إذا بمقاصد الكلام ومضمون القول، ويتطلب منا البحث عنه، أي أنه غير مرتبط بظاهر الكلام بل يجب البحث عنه في متضمنات القول، خلاف الدلالة التي وجدناها من الناحية اللغوية مرتبطة بالإبانة التي تقتضي علامات (أمانة كما وردت في التعريف) تُقتفى للوصول إلى المعنى.

¹ أحمد عمر مختار: علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط5، 1998، ص 11-12.

² فايز الداية: علم الدلالة العربي - النظرية والتطبيق، دار الفكر، سوريا، ط2، 1998، ص 9.

³ ابن فارس: مرجع سابق، ج 4، ص 148

⁴ الشريف الجرجاني علي بن محمد، مرجع سابق، ص 185

اصطلاحاً: يعتبر أولمان ستيفن أن المعنى هو المشكلة الجوهرية لعلم اللغة، أولاً لأن المعنى تتقاسمه عدة علوم تختلف في كيفية معالجته، وثانياً لأن طبيعة الألفاظ يكتنفها الغموض بدءاً من لفظ المعنى في حد ذاته.¹ لذا لم يفصل الجدل حول موضوع المعنى وتعريفه لدرجة أن أوغدن وريتشاردز ألفا كتاباً كاملاً لمعالجة المعنى، جمعاً فيه ما يقرب اثنين وعشرين تعريفاً.² وفي هذا إشارة إلى الاضطراب الناتج عن الاستعمال غير الواعي للمصطلحات المجردة على حد قول أولمان ستيفن، وهذا دليل آخر على أن دراسة المعنى بالفعل تطرح إشكالات لا تزال قائمة مهما تطورت المعرفة وازدهرت العلوم.

وعليه فلا نطمح أن نبحت في الكتب عن إجماع بخصوص تعريف المعنى لأنه موضوع يشترك فيه العديد من العلوم كالفلسفة، والنقد والبلاغة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع إذا كان هذا حال الغرب فإن العرب قد أولوا اهتماماً خاصاً بالمعنى لتعلقه بفهم النص القرآني واستنباط أحكامه، فكانت هذه هي البداية الأولى، لتتطور بعد ذلك للاهتمام بموضوعات مختلفة جمعها عنوان الشامل (علوم القرآن)، إضافة إلى علوم اللغة والبلاغة والنقد والفلسفة... وغيرها. ينفرد كل علم بنظرته الخاصة لهذا الموضوع، بل إن داخل كل علم يختلف المنشغلين به كل حسب معتقده واتجاهاته المعرفية. نكتفي هنا بالإشارة إلى ما يتعلق باللغة والأدب.

ففي كتاب "علم الدلالة" لفايز الداية خصص مبحثاً يتناول فيه مشكلة اللفظ والمعنى في الدراسات اللغوية والنقدية غايته من ذلك أن يقف على القضايا التي أثرت بخصوص هذا الموضوع في عملية انتقائية-وليست مسحية-لكل ما له علاقة بموضوع الدلالة باعتباره علم يدرس المعنى، فاعتبر سيبيويه أول من قابل بين اللفظ والمعنى أثناء حديثه عن أقسام الكلم.³ ومصطلح المعنى عند النقاد يدل على الفكرة العامة لنص شعري وما تتفرع إليه من أفكار جزئية مكونة لها، ويدل على ما يشتمل عليه بيت واحد من أفكار عدة أو فكرة واحدة ومن

¹ ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، ص 63

² ينظر: أوغدن وريتشاردز: معنى المعنى، تر: كيان أحمد يحيى، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2015، ص

298 وما بعدها

³ ينظر: فايز الداية: علم الدلالة العربي-النظرية والتطبيق، دار الفكر، سوريا، ط2، 1998، ص 32 فما بعدها

الوصف والتشبيه، والمصطلح يستعمل أحيانا مرادفا للأغراض الشعرية، ولما تتشعب إليه من صفات ومواقف فرعية.¹ وعليه فالمعنى يقصد به إلى مجمل الدلالة سواء تعلق الأمر بجملته نحوية، أو ببني شعري أو القصيدة. وما نستخلصه من هذه الدراسة أن الدلالة والمعنى، عند القدامى شيء واحد.

أما أهم ما يسجل في الاتجاه البلاغي في دراسة المعنى ما تناوله عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" فقد اهتم بالمعنى النحوي والدلالي، مبينا أهمية تضافهما في تحديد المعنى، وتوزعت عناية البلاغين بالمعنى في ثلاثة أقسام (المعاني والبيان والبديع) فاهتم علم المعاني بدراسة التراكيب أما علم البيان فينظر في المعاني الوظيفية، أما البديع فقليلة فيه الظواهر التي تتصل بالمعنى كالجناس والتورية.²

إضافة إلى ذلك فقد أسهم اللغويون العرب في مجال المعنى بوضع معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، ودراسة اتصال معاني الألفاظ المتحددة الأصول ومحاولة ربط بعضها ببعض فيما عرف باسم الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر، وغيرها من الموضوعات التي تبين اهتمام الأوائل بموضع المعنى وتصدره لكل بحوثهم.

3 - العلاقة بين المعنى والدلالة:

بناء على ما تقدم؛ فإن القدامى قد جعلوا من المعنى والدلالة مترادفين، أما المحدثين فقد اختلفوا في ذلك، متأثرين بما استجد في العلوم اللسانية بشأن هذا الموضوع، فكانوا ثلاثة فرق:³
1- الفريق الأول: يرى أن مصطلح الدلالة ومصطلح المعنى مترادفان. إبراهيم أنيس، وأحمد عمر مختار وفايز الداية.

2- الفريق الثاني: يرى أن المعنى أعم من الدلالة؛ لأن الدلالة مقتصرة على اللفظة المفردة.

¹ المرجع نفسه، ص 69

² تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، مصر، ط 3، 1998، ص 17 - 20.

³ هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2007، ص 28-

3- الفريق الثالث: يرى أن الدلالة أعم من المعنى؛ لأن كل دلالة تتضمن معنى وليس كل معنى يتضمن دلالة؛ فبينهما عموم وخصوص. وهذا ما ذهب إليه هادي نهر لأن مصطلح الدلالة عنده أوسع من مصطلح المعنى لأنه يهتم بكل أنواع العلامات والرموز اللغوية وغير اللغوية.

ويشير بالمر إلى الفرق بين الدلالة والمعنى من خلال طرحه لإشكالية مدى التزام الدلالة بشروط الدراسة العلمية على اعتبار أنها مستوى من مستويات الدرس اللساني كالمستوى التركيبي والصوتي مما يستوجب دراستها دراسة علمية تجريبية، ولا يتسنى هذا بالطريقة ذاتها مع المعنى لأنه متغير غير ثابت، لكونه يعتمد على المتكلمين والمستعملين والسياق، لأجل ذلك كان التمييز بين الدلالة والمعنى على أساس التمييز الذي قام به دي سوسير بين الكلام واللسان، وتشومسكي بين الأداء والكفاءة، حيث أدى هذا التمييز إلى تحديد مجال اللسانيات في دراسة اللسان أو الكفاءة وليس الكلام أو الأداء، ذلك أن اللسان أو الكفاءة هو الذي يجسد النظام المثالي الذي يمكن دراسته، لأنه يخضع لأساس تجريبي. ومن هذا المنطلق، فالدلالة تنتمي للغة أو الكفاءة والمعنى ينتمي للكلام أو الأداء، فالمعنى هو الاستعمال الفردي للدلالة وهو ليس جزء من الدراسة العامة للدلالة.¹ إذ تختص الدلالية بدراسة المعنى الناتج عن بنية النظام اللغوي.

أما المعنى بوصفه الاستعمال الفردي للدلالة فهو يتعلق باستعمالات المتكلمين وما يقصدونه من وراء تواصلهم وبالتالي فدرسته لا تقتصر فقط على ما يقدمه نظام اللغة وإنما بعوامل كثيرة خارجة عن النظام، وهذه العوامل هي كل ما يتعلق بملازمات الخطاب من الظروف التي قيل فيها والسياق الوارد فيه وغير ذلك مما تختص بدرسته التداولية. باختصار فإن الدلالة ما يفهم من نظام اللغة (الجملة) والمعنى ما يقع في تأويل المتلقي.

وهذا ما أشار إليه جون لاينز وهو "التمييز بين معنى الجملة الذي يتصل مباشرة بالملاحح النحوية والمعجمية للجملة وبين معنى النص (معنى الملفوظ أو الخطاب) الذي

¹ بالمر: علم الدلالة إطار جديد، مرجع سابق، ص 17 - 20.

يشمل كل النواحي الثانوية للمعنى وخاصة تلك المتعلقة بالسياق، وهذا التمييز مهم لأنه يسمح لنا بأن نقول شيئاً ما ونعني شيئاً آخر.¹ وهنا يشير إلى أن علم الدلالة يهتم بدراسة المعنى اللساني والذي يتحدد في إطار بنية اللغة فقط دون النظر إلى العوامل الخارجية، أما التداولية فهي تختص بدراسة المعنى الذي ينتجه الاستعمال أي الاهتمام بكل العوامل الداخلية والخارجية لتحديد المعنى.

خلاصة القول في قضية التمييز بين الدلالة والمعنى كما يوضحها بالمر أن علم الدلالة مقتصر على دراسة معنى الجمل وبنيتها النحوية، وليس معنياً ولا مطلوباً من علماء الدلالة الاهتمام بالكلام؛ لأسباب سبق ذكرها عند التذكير بالتمييز الذي وقف عنده دي سوسير بين اللغة والكلام؛ والذي أفضى إلى استقلالية اللسانيات كتخصص علمي يهتم بدراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها.

أما المتقدمين من علماء العرب فقد جعلوا الدلالة والمعنى مترادفين، في الوقت الذي انقسم فيه اللسانيون العرب المحدثون إلى ثلاثة فرق، فريق سار على درب الأوائل فلا يرى هناك فرق بين الدلالة والمعنى، وفريق يرى الدلالة أعم من المعنى، والفريق الثالث يرى العكس، أي المعنى أعم من الدلالة.

¹ صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، مصر، ط1، ص 13

المحاضرة الثانية:

إشكالية الدلالة بين التطور والتغير - الأسباب -

للوقوف على إشكالية الدلالة بين التطور والتغير لابد من الوقوف على معاني التطور والتغير من الناحية اللغوية لنتبين مدى تشابه معاني اللفظتين من اختلافهما، وبالتالي يمكننا أن نفهم سبب استخدام المصطلحين أو تفضيل أحدهما عن الآخر. وسنخصص هذه المحاضرة لأسباب التطور الدلالي منبهين للاختلافات التي طبعت الكتابات العربية في هذا الموضوع.

1 - التعريف اللغوي للتطور والتغير:

التطور لغة: طور، الطَوْرُ: التَّارَةُ، تقول طورا بعد طور، أي تارة بعد تارة. والَطَّوْرُ: الحال، وجمعه أطوار. قال الله تعالى: "وقد خلقكم أطوارا" معناه ضروباً وأحوالاً مختلفة.¹
طَوَّرَهُ: حَوَّلَهُ من طور إلى طور، وهو مشتق من الطَوْر. وتَطَوَّرَ: تحول من طور إلى طور.²
التَطَوُّرُ: التغير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها، ويطلق أيضا على التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه.³
التغيير لغة: وتَغَيَّرَ الشيء عن حاله: تَحَوَّلَ. وَغَيَّرَهُ: حَوَّلَهُ وَبَدَّلَهُ، كأنه جعله غير ما كان. وتغايرت الأشياء: اختلفت. وَالغَيَّرُ: الاسم في قولك غَيَّرْتُ الشيءَ فَتَغَيَّرَ.⁴ وفي المعجم الوسيط نجد: غَيَّرَ الشيءَ: بَدَّلَ به غيره. تَغَيَّرَ الشيءُ: مطاوع غَيَّرَهُ، الغيَارُ: البِدَالُ، وهو البديل من كل شيء.⁵

من الناحية اللغوية تشترك كلمة التطور والتغير في معنى التحول وبالتالي لا توجد فروق تمييزية بين الكلمتين من حيث استعمالها لتحديد ما يطرأ من تغيرات في دلالة الألفاظ،

¹ ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص 2717-2718

² مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4، 2004، ص 569

³ المرجع نفسه 570.

⁴ ابن منظور: المرجع السابق، ص 3325

⁵ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 688

لأن كلتاهما صالحة للدلالة على التحولات التي تصيب معاني الألفاظ، وإن كانت لفظة التطور تحيل على الأطوار المختلفة التي تمر بها اللغة في رحلة تغييرها لمعاني بعض الألفاظ، لذا نجدها أكثر استخداماً من لفظة التغيير وهذا ما يثبتته التعريف الاصطلاحي.

2- التعريف الاصطلاحي للتطور الدلالي:

تطور اللغة: تطور مشتق من الفعل طور، التي تدل على الانتقال من طور إلى طور، بغض النظر عن كونه ايجابياً أم سلبياً فالضابط هو المرور بمراحل من مراحل نشأتها ونموها أو تدرجها صوب انعدام تداولها.¹

التطور الدلالي: أي الانتقال الحاصل في دلالة الألفاظ سواء أكان انتقالاً سلبياً - بموت الدلالة إ أم ايجابياً- باستمرار الدلالة القديمة وولادة دلالة جديدة أخرى.²

انطلاقاً من التعريف اللغوي والاصطلاحي لم يبق هناك شك من أن التطور اللغوي يعني تغير دلالات الألفاظ عبر الزمن، وهذا ما يميز طبيعة اللغة الشبيهة بالكائن الحي لتأثرها بالعوامل الخارجية والداخلية على حد سواء يبيّن ذلك قول عبد السلام المسدي: "إن الحقيقة العلمية التي لا مرأى فيها اليوم هي أن كل الألسنة البشرية ما دامت تتداول فإنها (تتطور)، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا إيجاباً ولا سلباً وإنما هو مأخوذ في معنى أنها تتغير إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبي في الأصوات والتركيب من جهة ثم في الدلالة على وجه الخصوص ولكن هذا التغير هو من البطء بحيث يخفى عن الحس الفردي المباشر."³ فلا يشعر به، لكن العلماء انتبهوا لذلك على مر الزمن ودونوا ملاحظاتهم حول بعض الكلمات في مباحث متفرقة، والمعاجم اللغوية وشاهدة على هذا التطور بما نقلته من معاني الألفاظ وما استجد من دلالاتها الجديدة.

¹مشتاق عباس معن: المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2001، ص 66.

²المرجع نفسه، ص 66.

³ عبد السلام مسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص 38.

لذا اهتم علماء اللغة بمسألة التطور الدلالي منذ أوائل القرن التاسع عشر، في محاولة لتأطير تغير المعنى بقواعد وقوانين، فبحثوا في هذا المجال عن أسباب تغير الدلالة ومظاهره، فأدركوا أن الألفاظ ترتبط بدلالاتها ضمن علاقة متبادلة فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغير في هذه العلاقة، ولا يكون التطور في مفهوم علم الدلالة في اتجاه متصاعد دائماً إنما قد يحدث وأن يضيق المعنى أو يخصص، كما يتسع أو يعمم، فيكون الانتقال من المعنى الضيق أو الخاص إلى المعنى العام وقد يحدث العكس، ولذلك يفضل بعض علماء اللغة المحدثين مصطلح تغير المعنى عوض مصطلح التطور الدلالي.

إن التغير الدلالي ظاهرة طبيعية في اللغة، تعكس قدرتها على التجدد حسب حاجيات متداوليها، كما أنها تجسد قدرتهم الإبداعية - خاصة ما تعلق بالمجاز - في شحن الألفاظ بدلالات جديدة قد تقترب من الدلالة القديمة أو تختلف عنها تماماً، فيصبح للكلمة معنى جديداً قد يصبح هو الآخر قديماً ويفسح المجال لمعنى جديد، ليبقى التطور الدلالي سمة من سمات اللغة.

يشرح ستيفن أولمان كيفية التطور الدلالي في مرحلتين: الأولى؛ المرحلة الفردية حيث يكون الفرد هو أول من يغير دلالة لفظ ما لسبب ما، ثم تأتي المرحلة الثانية حين يلقى هذا اللفظ التداول والانتشار بين أفراد المجتمع أو جماعة لغوية¹. وهنا يتبين كيفية حدوث التطور الدلالي للكلمة حيث يُسهم فيه الفرد والمجتمع فالفرد كمصدر أولي والمجتمع يقرها بواسطة الاستعمال وإلا ستندثر ولن تشارك في مسار التطور الدلالي، ولقد انتبه العلماء والدارسين لهذه الظاهرة وتطلعوا لمعرفة أسبابها وإن كانوا قد اختلفوا بعض الشيء في تحديدها وتحديد مظاهرها .

أما اللغويون التراثيون وإن كانوا قد وقفوا على بعض مظاهر التطور الدلالي وحثو كتبهم الكثير من الأمثلة بهذا الشأن كما نجده عند ابن فارس في كتابه الصحابي في فقه اللغة، فإن

¹ ستيفن أولمان : مرجع سابق، ص 54 .

تتاولهم لهذه القضايا لم يكن بمستوى الوعي الذي نشهده اليوم عند علماء الغرب الذين سعوا إلى معرفة قوانين التطور الدلالي ولم يكتفوا بالإشارة إلى بعض مظاهره فقط.

أما إذا جئنا لتتبع كتب المحدثين من اللسانيين العرب فنجدهم قد استفادوا من الجانبين؛ من اللغويين التراثيين حيث أفادتهم الأمثلة التي استمدوها من مادة كتبهم في كثير من الأحيان، ومن منهج البحث في تتبع التطور الدلالي ومظاهره عن اللسانيات الغربية الحديثة.

3 - أسباب التطور الدلالي ومظاهره في الكتابات العربية:

بما أن اللغة ظاهرة اجتماعية فإنها لا محالة عرضة للتغير والتطور في جميع مستوياتها، ويحدث هذا وفق قوانين لا نشعر بها لأن وتيرة التغير بطيئة جدا، وتُسهّم فيها عوامل كثيرة قد تكون مقصودة بسبب الحاجة إلى إيجاد ألفاظ جديدة للاستعمالات الجديدة، وقد تكون من دون وعي لأن الفرد يستعمل اللغة في ظروف نفسية واجتماعية مختلفة، يجد نفسه يغير دلالة بعض الألفاظ دون أن ينتبه لذلك.

فالتغيير الدلالي إذا لا ينجم عن إرادة الفرد الواعية، وإنما يخضع لقوانين ثابتة، مطردة النتائج، محققة الآثار، وليس لأحد القدرة لإيقافها. لذا سعى الباحثون لمعرفة أسباب هذا التغيير وتحديد مظاهره.

يذكر ستيفن أولمان تقسيم أنطوان ميه (Antoine Meillet) لأسباب التطور الدلالي متمثلة في (الأسباب اللغوية والتاريخية والاجتماعية) ثم يستدرك عليه الأسباب النفسية كالإبداع الأدبي ومجازاته سواء في الشعر أو الكلام العادي، وترجع الأسباب اللغوية إلى قواعد اللغة في حد ذاتها حيث تُسهّم في تغير مدلول الكلمة، وتساعد على توجيهها وجهة خاصة، أما الأسباب التاريخية فتمثلها الألفاظ القديمة التي تحافظ على لفظها ولكنها تكتسب مدلولاً جديداً لتمثال بين الوظيفة القديمة والجديدة، لأن التقدم الحضاري كان سببا في تغير مدلول اللفظ.¹ وتتمثل الأسباب الاجتماعية في انتقال الألفاظ من بيئة لغوية إلى آخر تختلف عنها مثل ما حدث مع بعض الألفاظ العربية فقد تغيرت بمجيء الإسلام فأصبح لها معنى جديداً؛ كالصلاة

¹ لينظر: ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، مرجع سابق، ص 154 فما بعدها.

التي معناها اللغوي الدعاء أصبحت مسمى على ركن من أركان الإسلام له طريقتة الخاصة، والحج الذي يعني القصد هو الآخر أصبح شعيرة إسلامية هي الركن الخامس لهذا الدين. ولقد سار البحاثة العرب على نهج الغربيين في تقصي أسباب التطور الدلالي وإن كانت هناك بعض الاختلافات والإضافات بينهم فيما تعلق بتصنيف الأسباب والمظاهر، نذكر من بينهم إبراهيم أنيس في كتابه "دلالة الألفاظ" حيث قسم أسباب التطور الدلالي إلى قسمين: الأول يرجع إلى استعمال اللغة؛ المتمثل في سوء الفهم، وبلى الألفاظ، والابتدال. والقسم الثاني إلى الحاجة بسبب التطور الاجتماعي والاقتصادي واستعارة بعض الألفاظ الأجنبية الخاصة بتلك البيئة. أما مظاهر التطور الدلالي فقد حصرها في: تخصيص الدلالة وتعميمها، انحطاط الدلالة ورفيها، تغيير مجال الاستعمال، ودواعي المجاز.

وجمعها من دون تفصيل رمضان عبد التواب في الأسباب الآتية: العوامل المتعمدة وغير المتعمدة - سوء الفهم والقياس الخاطئ - تطور أصوات الكلمة - اختصار العربية - التأقلم وكثرة دوران الكلمة في الاستعمال - عامل الابتدال - أما مظاهر التطور الدلالي فقد اكتفى فقط بتخصيص الدلالة وتعميمها وانتقال الدلالة في العربية وغيرها.¹

أما عبد الواحد وافي فيرجع عوامل أو أسباب التطور الدلالي إلى ستة عوامل:

- 1 - عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة وتقاليدها وعقائدها، ومظاهر نشاطها العملي والعقلي.
- 2 - تأثر لغة بأخرى.
- 3 - عوامل أدبية تتمثل في الإبداع الأدبي، وجهود مجامع اللغة من أجل ارتقاء اللغة
- 4 - انتقال اللغة من السلف إلى الخلف.
- 5 - عوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية
- 6 - عوامل لغوية: ترجع لطبيعة اللغة من حيث أصواتها وقواعدها ومنتها.

¹ أنظر: رمضان عبد التواب: التطور اللغوي - مظاهره وعمله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3،

1997، ص 189 وما بعدها

إن الاختلاف واضح في تصنيف أسباب التطور الدلالي قد تزيد أو تنقص عند كل باحث، لذا سنعمد بشكل أساسي على تصنيف إبراهيم أنيس لبساطته واشتماله على أهم أسباب التطور اللغوي؛ لأنها ترجع في حقيقتها إلى استعمال اللغة وتداولها وما يمكن أن يعترها من تغيير، وهذه هي العوامل غير المتعمدة، والسبب الثاني وهو الحاجة وفيه تتجلى العوامل المتعمدة في تطور اللغة من أسباب اجتماعية ونفسية.

4- أسباب التطور الدلالي:

4-1- الاستعمال: أو الأسباب غير المقصودة لأن البشر أثناء تواصلهم باستخدامهم اللغة كأهم وسيلة للتواصل والتعبير عن حاجاتهم، تحدث تغيرات لبعض الألفاظ نتيجة هذا الاستعمال من غير أن يقصدوا ذلك. ومن بين الأسباب المؤدية إلى ذلك يذكر إبراهيم أنيس الأسباب الآتية:

4-1-1- سوء الفهم: ينجم في أغلب الأحيان نتيجة للظروف التي يتلقى فيه الفرد لكلمة ما قد تحمل له بعض الغموض الذي يجتهد في تجليته بمفرده عن طريق نوع من القياس الذي يعتمد فيه على مخزونه اللغوي فيلجئ إلى قياس ما لم يعرفه على ما يعرفه، فيصيب أحيانا ويخطئ أخرى، وهنا تتولد الدلالة الجديدة فتصادف الشيوخ والذيوخ بين الناس، ومثال ذلك استعمال الطلبة للفظة العتيد بمعنى العتيق.¹ وقد تتعايش الداللتان القديمة والجديدة جنبا إلى جنب، وهذا ما يفسر سبب وجود المشترك اللفظي على صورته الأصلية الحقة على حد قول إبراهيم أنيس في الكلمة التي تحمل دلالتين مختلفتين مثل: كلمة الأرض التي تعني الكوكب المعروف وتعني الزكام.²

4-1-2- بلى الألفاظ: ويقصد بها اندثار دلالات بعض ألفاظ لأنها ستشحن بدلالات جديدة وإن لم تكن مقصودة مثلما حدث مع: كلمة كماش الفارسية بمعنى نسيج من قطن خشن فتطورت الكاف إلى قاف، فشابهت الكلمة العربية (قماش) وهو ما كان على وجه الأرض من

¹ إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط5، 1984، ص 137.

² المرجع السابق، ص 136.

فتات الأشياء حتى يقال لزدالة الناس قماش. وبهذا نسيت الكلمة الأصلية وحلت محلها الكلمة العربية، لما أصاب اللفظ من تغيير في صورته صادف أن وجد لفظا آخر يشبهه، فاختلطت الدالالتان.¹

لكن رمضان عبد التواب يرجع سبب هذا التطور الدلالي في المثال السابق إلى التقارب الصوتي بين صوتي الكاف والقاف لتشابه الكلمتين (كماش وقماش).² وربما كان اجتماع السببين معا هو الذي يعطي تفسيراً مكتملاً لتطور كلمة قماش.

4-1-3-الابتذال: وهو الحط من قيمة الشيء وشأنه، ويحدث الابتذال لأسباب سياسية

واجتماعية، ونفسية حيث يلجأ الأفراد إلى الابتعاد عن التصريح بالألفاظ المرتبطة بالقذارة والدنس، أو بالغريزة الجنسية بألفاظ أقل تصريحا وأكثر تعمية.³ مثلما ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ والغائط ما اتسع من الأودية وجعل كناية عن قضاء حاجة الإنسان لأن العرب كانت تختاره، فكثرت دلالة اللفظين طلبا لرفع ذلك، وكذلك "لامستم" فهي كناية عن مباشرة النساء، وبهذا تغيرت دلالة اللفظين طلبا لرفع الحرج ومن باب الحياء.

وليس الأمر يتعلق دائما بالحياء بل في بعض الأحيان يكون من باب الاحترام والهيبة، كأن ينادي الولد أباه بلفظ السيد. كما يكنى أيضا على ألفاظ الموت وما يتعلق بالأمراض والأشباح، فيبتعدون عن ذكرها بأسمائها مثل مرض السرطان الذي يسميه الناس المرض الخبيث، ويلعب التفاوض والتشاور والتطير دورا في هذا الشأن كتسمية النار بالعافية.

ومثال الأسباب السياسية كلمة الحاجب التي كانت تطلق على رئيس الوزراء في الدولة الأندلسية ثم صارت لا تعنى سوى الحارس.⁴ ويرجع سبب الابتذال في بعض حالاته إلى

¹ المرجع السابق، ص 138.

² رمضان عبد التواب: التطور اللغوي، مرجع سابق، ص 191.

³ إبراهيم أنيس: المرجع السابق، ص 139.

⁴ إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مرجع نفسه، ص 142.

تباغض الناس والاحتقار الموجود بين طبقات المجتمع أو إلى التعصب الأعمى الذي يحملهم على التناوب بالألقاب.¹ مما يسهم في تغير الدلالة نحو الابتذال.

4-1-4-اختصار العبارة: حيث يلخص محتوى العبارة في كلمة واحدة تصبح هي الأكثر انتشاراً وتداولاً مثل قولنا: "فلان بلغ" بمعنى بلغ الحلم وسن الشباب. ومن هذا القبيل قول سيبويه: "وإنما أضمروا ما كان يقع مظهراً؛ استخفافاً، ولأن المخاطب يعلم ما يعني، فجرى بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليك! وقد عرف المخاطب ما تعني، أنه لا بأس عليك، ولا ضرر عليك، ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم."² كما أشار إلى ذلك سيبويه.

4-2-الحاجة: كما سبق الإشارة إليه أن إبراهيم أنيس قد قسم أسباب التطور الدلالي إلى قسمين "الاستعمال والحاجة" والاستعمال يمثل القسم اللاشعوري بحيث يحدث في كل لغة دون الشعور به إلا بعد المقارنة بين العصور، وقسم يقوم به أهل صناعة الكلام ومجامع اللغوية المتخصصة وهذا النوع أقل تأثيراً في اللغة. وهو الذي يندرج ضمن الحاجة.

4-2-1-التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي: إن تقدم المجتمعات وازدهار يغير من ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مما ينجر عنه تغيير في طباع الناس وعاداتهم أيضاً، فيحتاجون للتعبير عما استجد في حياتهم وعلى جميع الأصعدة بمدلولات جديدة يشحنوا بها الدوال (الألفاظ) القديمة ملتصقين في ذلك وجه من الشبه بين الاستعمال القديم والاستعمال الحديث، مثل الدبابة، الطائرة، القاطرة، السيارة.³ وقد تكون للدعاية السياسية والاقتصادية دوراً في توليد دلالات جديد في الترويج لبضاعتها كأن يُسمى الحلاق محل الحلاقة بدار الزينة.⁴

¹ ج. فندريس: اللغة، تر عبد الحميد الدواخلي، المركز القومي للترجمة، طبعة منسوخة عن نسخة قديمة، 1889، ص 266.

² سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988، ج1، ص 225.

³ إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 146.

⁴ المرجع نفسه، ص 149.

"وينحرف الناس عادة باللفظ من مجاله المؤلف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ، وما تعلموه من كلمات !فهنا قد يلجئون إلى تلك الذخيرة اللفظية المألوفة، مستعينين بها على التعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والحديث.¹"

وقد يكون سبب التغيير ليس الحاجة فقط بل الرغبة في الخروج عن الرتابة لتوضيح الدلالة، يُسهم فيه عامة الناس، فيتكون نوع من المجاز الذي لا ينتمي إلى فرد بعينه بقدر ما ينتمي إلى البيئة التي ولد فيها. أما حين يتصدى الأديباء والشعراء لهذا الدور فهو الإبداع الذي يظل حقة من الزمن محل الإعجاب ثم ما يلبث أن يصبح من الحقيقة وتبلوا طرفاته.² لكثرة استعماله وشيوعه بين عامة الناس.

كثرة استخدام الخاص في معان عامة طلبا للتوسع يُعد سبب اجتماعي، ومع مر الزمن يخرج من إطار الخاص إلى العام مثل كلمات (البأس والورد والرائد) فالبأس أصله الحرب، ثم انتقل للتعبير عن كل شدة، وأصل الورد إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء وردا، وكلمة الرائد أصلها طالب الكلاً ثم أطلقت على كل حاجة رائدا.³

إضافة إلى ذلك فإن كثرة استعمال الكلمة بالمعنى المجازي يؤدي غالبا إلى انقراض المعنى الحقيقي لصالح المعنى المجازي، مثل (المجد والوغى والغفران) فأصل المجد امتلاء بطن الدابة من العلف، ثم استعملت مجازا لدلالة على الامتلاء بالكرم، وانتقل معنى الوغى من اختلاط الأصوات في الحرب إلى الحرب نفسها، ومعنى الغفران من الستر إلى الصفح عن الذنوب.⁴

¹ المرجع السابق، ص 130.

² المرجع نفسه، ص 131.

³ عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط4

1983، ص 21،

⁴ المرجع نفسه، ص 22.

4-2-2- تأثر لغة بلغة أخرى: وهو عند إبراهيم أنيس الاستعارة من لغة أخرى؛ وذلك

لحاجتها في الأخذ من غيرها، خاصة ما يتعلق بالجانب المادي للحياة حين تسبق بعض الشعوب إلى التقدم والحضارة مما يخلق في لغتهم من الألفاظ ما لا يوجد عند غيرهم. مثلما حدث في اللغة العربية من انتقال مفردات الفرس واليونان مثل: الإبريق، الخز والعنبر والمسك.¹ أو مثل لفظة التبغ فقد انتقلت إلى معظم سكان العالم محافظة على التسمية الأصلية في الفرنسية والانجليزية.² ثم صبغت بصبغة اللسان العربي لتتسجم مع الخصائص الصوتية للغة المنقول إليها، وكذلك لفظة "التلفاز".

بناء على ما تقدم تختلف أسباب التطور الدلالي التي حددها الباحثون من باحث لآخر، وقد تتعدد الأسباب ف الظاهرة الواحد كما رأينا مع لفظة قماش، وهذه الأسباب نسبية وليست قطعية، أي قد يتوفر السبب ولا يحدث تغيير للفظ.

¹إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص 26.

²المرجع نفسه، ص 28 - 29.

المحاضرة الثالثة:

إشكالية الدلالة بين التطور والتغير - المظاهر -

إذا كانت أسباب التطور الدلالي قد بينت لنا علة تغير معاني الألفاظ فإن المظاهر ستوضح لنا شكل هذا التغير، وقد اختلف في تحديد هذه المظاهر أيضا، فهي تزيد وتنقص عند كل باحث كما سبق الإشارة إليه. وهي كما يأتي:

1 - تخصيص الدلالة: "يطلق فيها الاسم العام على طائفة خاصة تمثل نوعها في نظر المتكلم. ذلك أن الإنسان إذا وثق من أن محدثه قادر على فهمه أعفى نفسه من استعمال اللفظ الدقيق المحدد واكتفى بالتقريب العام."¹ ويضيف إبراهيم أنيس سبب الكسل والتماس أيسر السبل في التواصل بين المتحدثين متى توفرت شروط التفاهم.² مثل: كلمة الطهارة التي أصبحت تعني "الختان" وكلمة الحريم التي كانت تعني كل محرم أصبحت تعني "النساء".

"والألفاظ في معظم اللغات البشرية تتذبذب دلالاتها بين أقصى العموم كما في الكليات، وأقصى الخصوص كما في الأعلام. فهناك درجات من العموم، وهناك درجات من الخصوص، وهناك حالات وسطى، وإدراك الدلالة الخاصة أو الشبيهة بالخاصة أيسر من إدراك الدلالة الكلية، التي يقل التعامل بها في الحياة العامة وبين جمهور الناس."³ ويستأثر بها الفلاسفة والمفكرون والعلماء لأنها مدار بحثهم وعملهم.

2- تعميم الدلالة: "وينحصر التعميم في إطلاق اسم نوع من أنواع الجنس على الجنس كله، وهذه حال الأطفال."⁴ ويعتبره إبراهيم أنيس أقل تأثيرا في تطور الدلالة من التخصيص، تُسهم فيه قناعة الناس بالفهم التقريبي الذي يحقق هدفهم من التخاطب دون الاهتمام بالدلالة

¹ فندريس: اللغة، مرجع سابق، ص 257.

² إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 152

³ المرجع نفسه: ص 153.

⁴ المرجع السابق، ص 258.

الدقيقة المحددة، طلبا للتخفيف والتيسير، لأدنى شبه أو مماثلة بين الألفاظ.¹ ومن أمثلة التعميم أن الناس في خطابهم اليومي يطلقون اسم (الورد) على كل زهر، وكلمة (البأس) التي كان معناها الشدة في الحرب خاصة، عُمِّمت دلالتها حتى أطلقت على كل شدة، وأصل التنزه: البعد مما فيه الأذناس، والقرب مما فيه الطهارة والبراءة، ثم كثر استعماله للنزهة في كلام الناس.

3 - انحطاط الدلالة: يعود انحطاط الدلالة إلى طبيعة البشر التي تجعلهم في زمن ما يتداولون ألفاظا بمعاني قوية راقية ثم يأتي عليها زمن آخر ليلبسوه معنى أضعف مما كانت عليه، فيصبح اللفظ بعد شيوعه مألوفا، وبهذا يصيبه الانحطاط مقارنة بما كان يعنيه من قبل. ذلك أن "الابتدال في الألفاظ وما تدل عليه ليس وصفا ذاتيا، ولا عرضا لازما بل لاحقا من اللواحق المتعلقة بالاستعمال في زمان دون زمان، وصقع دون صقع."² مثال ذلك: الدَّابَّة وهي كل ما يمشى على الأرض، فأصبحت تعني البهائم فقط.

4- رقي الدلالة: قد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في سلم الاستعمال الاجتماعي، بل قد تصعد الكلمة الواحدة إلى القمة وتهبط إلى الحضيض في وقت قصير مثل كلمة (رسول) التي يقصد بها أي شخص يرسل في أي مهمة، تطورت على النحو التي خُص بها شخص النبي.³

5- انتقال الدلالة: ويحدث انتقال المعنى "عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص (كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من السبب إلى المسبب أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه الخ، أو العكس). ويتم نقل المعنى عن طريق المجاز المرسل والاستعارة."⁴ هذا فيما يتعلق بالمجاز البلاغي الذي يبرز عند الأدباء

¹ إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 155.

² جلال الدين السيوطي: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1،

ج1، 1998، ص 152.

³ المرجع السابق، ص 158.

⁴ فنديس: اللغة، مرجع سابق ص 256.

بشكل خاص، سواء كان متعمدا وغير متعمد والغاية من ذلك توضيح الدلالة بحيث تصبح مفهومة لدى المتلقي، وذلك بنقل الدلالة المجردة إلى الدلالات المحسوسة.¹ فالفرق بين مظهر الانتقال ومظهري التعميم والتخصيص هو أن المعنى في هذين المظهرين أوسع أو أضيق من المعنى القديم، أما في مظهر الانتقال فالمعنيان القديم والجديد متساويان، ومعنى هذا أن كل أنواع المجاز التي يتساوى فيها الطرفان (المنقول منه والمنقول له) تندرج ضمن هذا النوع المسمى بنقل الدلالة، أو تغيير مجال الاستعمال، وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أن الفرق بين مظهر الانتقال والمظهرين الآخرين من مظاهر التطور الدلالي يتمثل في أن هذين المظهرين يتّمان عادة بصورة غير شعورية، أما هذا المظهر أي (الانتقال) فإنه يتم بصورة قصدية لغرض أدبي غالباً.²

ويشير إبراهيم أنيس إلى نوع آخر من المجاز الذي لا يمكن نسبته إلى المجاز البلاغي لأن انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد في هذا النوع ناتج عن الاستعمال الذي يتم بالتدرج بحيث تتداول الداليتين (المحسوسة والمجردة) جنباً إلى جنب، وفي هذه المرحلة لا تثير الدلالة المجردة الغرابة بحيث لا يمكن أن نعتبر أن الدلالة المحسوسة أصلاً لها ولا العكس، وبالتالي لا يمكن اعتبار إحدى الداليتين حقيقة والأخرى مجازاً، إذ لا مجاز ولا حقيقة بينهما.³ مثل كلمة الرطانة وتعني الإبل الكثيرة إذا كانت رفاقاً ومعها أهلها، فأصبحت تطلق على من يتكلم بالأعجمية فكلامه غير مفهوم، ومثلها الحقد: حقد المطر احتبس، وحقدت الناقة: امتلأت شحماً، وكذلك المدح: مدحت الأرض والخاصرة: اتسعتا، والقلق: الحركة والاضطراب، ومن هنا جاء الانزعاج.

خلاصة القول أن معرفة أسباب التطور الدلالي ومظاهره أنها ارتبطت بجهود علماء الغرب وما أنتجه تطور البحث الدلالي الحديث، وقد اقتفى الدارسون العرب -ممن ذكرنا بعض

¹ إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 160.

² ستيفن أولمان: مرجع سابق، ص 169-170.

³ إبراهيم أنيس، مرجع سابق، ص 162.

أسمائهم- الأثر في محاولة للمزج بين ما زخر به الدرس الدلالي العربي من أمثلة وشواهد تضمنتها كتبهم، والاستعانة بإجراءات البحث الحديثة متمثلة في توظيف المنهج التاريخي في دراسة اللغة.

ولقد اختلف الباحثون العرب في تحديدهم لأسباب ومظاهر التطور الدلالي بالزيادة والنقصان إلا أن القسيم المشترك بينهم؛ هو أن هناك أسباب غير مقصودة مردها إلى تداول اللغة حسب ما تقتضيه الحياة النفسية والاجتماعية والسياسية كبشر، لذا هم يسهمون في التطور الدلالي دون شعور منهم.

وهناك أسباب مقصودة أملت الحاجة لمواكبة التطور الحضاري، وبالتالي يتدخل فيها المختصين في شتى العلوم والمعارف. وهذا الذي نحن في أمس الحاجة إليه في يومنا هذا لكثرة ما يرد من الغرب من ألفاظ خاصة ما تعلق بالاحتياجات اليومية.

المحاضرة الرابعة:

الدلالة اللغوية وغير اللغوية

إن تحديد أنواع الدلالة كما وردت عند الدارسين خاصة التراثيين-لتنوع مشاربهم الفكرية واختلاف اهتماماتهم العلمية- ليس بالأمر اليسير ولا الهين، لكثرة ما فيها من تفرعات وتفصيل اقتضته حاجة البحث التي انطلقوا منها، خاصة عند الفقهاء والأصوليين، ذلك أن اهتمامهم منصب على استنباط الأحكام الشرعية من نص مقدس معجز هو القرآن الكريم، وعليه سنكتفي بتقديم القدر المشترك مما هو معلوم لدى جميعهم، كتقسيم الدلالة إلى لفظية (لغوية) وغير لفظية (لغوية) وما يتفرع عنه، وسيكون اهتمامنا بتقسيم اللغويين لأهميته في علم الدلالة.

يجمع الجاحظ جميع أصناف الدلالات لغوية كانت أو غير لغوية في خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد كما قال: "أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نِصْبَةً، والنِّصْبَةُ هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصّر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صور بئنة من صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها؛ وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها.¹" والعقد هو الحساب و"يشتمل على معان كثيرة جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة. وفي عدم اللفظ، فساد الخط، والجهل بالعقد فساد جل النعم، وفقدان جمهور المنافع، واختلال كل ما جعله الله عزّ وجلّ لنا قواماً، ومصلحة ونظاماً."² فلولا الحساب لما كنا لنعرف للوقت أهمية، ولا للحياة قيمة.

¹ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخناجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998، ص 76.

² المرجع نفسه، ص 80.

وأما النِّسبة "فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض... فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربةٌ من جهة البرهان."¹ فإذا دل الشيء على معنى فقد أُخبر عنه وإن كان صامتا، فخلق السنوات والأرض دليل على وجود الخالق، وكما قال العربي فالأثر يدل على المسير.

1 - أنواع الدلالة عند الأصوليين:

إذا كان الجاحظ قد صنف الدلالة حسب طبيعة وجودها، فإن الدارسين قديما وحديثا قد اختلفوا بنسب متفاوتة في تصنيف الدلالة ووفقا لمعايير مختلفة أملتها طبيعة اهتماماتهم، فكما سبق الإشارة إليه فإن الأصوليين والمناطقية قد قسموا الدلالة إلى قسمين: دلالة لفظية، ودلالة غير لفظية، باعتبار نوع الدال، وتتفرع إلى طبيعية، وعقلية، ووضعية على اعتبار طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، وتفصيل ذلك كالآتي:

1-1- الدلالة اللفظية الوضعية:

هي كون اللفظ بحيث متى أُطلق أو تُخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه، وهي المنقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام؛ لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وُضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام كالإنسان؛ فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام.²

"فتكون دلالة المطابقة دلالة اللفظ الكلي على مجموعة هذه المقومات التي تؤلف الذات أو الكنه، وتكون دلالة التضمن على بعض هذه المقومات لا كلها."³ فدلالة المطابقة الوضعية هي الدلالة الأصلية في الألفاظ التي لأجلها وضعت معانيها، وهي الدلالة التي تواضع الناس عليها أي أن علاقة الدال بالمدلول عرفية، وسُميت بالمطابقة؛ لمطابقة المعنى للفظه كما تعارف الناس عليه، والمراد من هذا التطابق هو عدم زيادة اللفظ على المعنى زيادة أو نقصانا،

¹ المرجع السابق، ص 81.

² الجرجاني: التعريفات، مرجع سابق، ص 92.

³ عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب -دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر،

بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص 43.

أما دلالة اللفظ الوضعية فسميت بدلالة تضمينية؛ لكون الجزء ضمن المعنى الموضوع له، والإضافة في دلالة التضمن ودلالة الالتزام من إضافة المسبب إلى السبب.

والعلاقة بين المطابقة والتضمنية: العموم والخصوص المطلق، فإذا وجدت التضمنية، وجدت المطابقة، دون العكس؛ لجواز أن يكون المعنى بسيطاً لا جزءاً له. أما دلالة الالتزام: فهي دلالة اللفظ على خارجٍ عن مُسمّاه، لازم له لزوماً ذهنياً؛ بحيث يلزم من فهم المعنى المطابق فهُمُ ذلك الخارج اللازم، كدلالة الأربعة على الزوجية.

والدلالة الطبيعية هي "دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه والمراد من العلاقة الطبيعية إحداث طبيعة من الطبائع سواء كانت طبيعة اللفظ أو طبيعة المعنى أو طبيعة غيرها، عروض الدال عند عروض المدلول كدلالة أح أح على السعال.¹ وكل علاقة طبيعية تستلزم علاقة عقلية،" باعتبار استلزام تحقق الدال تحقق المدلول على وجه خاص، لكن الدلالة المستندة إلى استلزام الدال للمدلول بحسب نفس الأمر مطلقاً مع قطع النظر عن خصوص المادة دلالة عقلية والدلالة المستندة إلى الاستلزام المخصوص بحسب مادة الطبيعة طبيعية.²

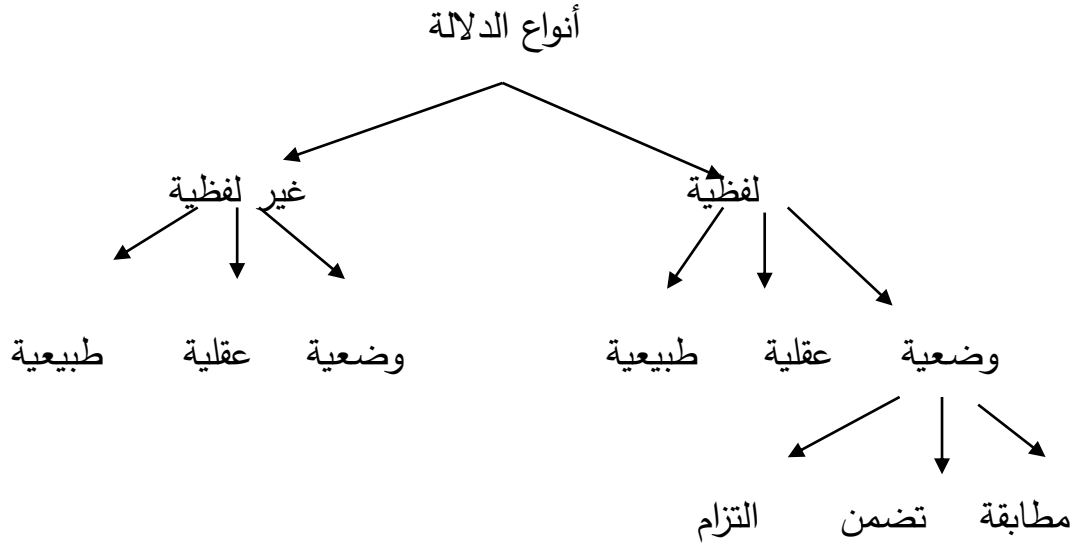
1-2- الدلالة غير اللفظية:

هي المستندة في دلالتها على غير لفظ بل على إشارة ونحوها، وهي كما سبق التنويه إليه؛ **وضعية وطبيعية وعقلية**. فالدلالة غير اللفظية الوضعية مثل: دلالة الإشارة على معنى نعم أو لا. وغير لفظية طبيعية مثل: دلالة حمرة الوجه على الخجل وغير لفظية عقلية مثل: دلالة العالم على مُوجده وهو الله سبحانه وتعالى.

ويمكن تمثيل أنواع الدلالة في المخطط الآتي:

¹ محمد علي التهنائي: كشاف مصطلحات العلوم، نسخة مصورة من موقع المكتبة الوقفية <https://waqfeya.com/book.php?bid=6153> ص 788.

² المرجع نفسه، ص 789



2- أنواع الدلالة عند اللغويين:

قد يكون ابن جني كلغوي أول من قسم الدلالة إلى ثلاثة أقسام في "باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية" في كتابه "الخصائص" وقد جعلها ثلاثة مراتب: أقواهن الدلالة اللفظية ثم الصناعية وتليها المعنوية، ووضح ذلك بالفعل "قام" فدلالته اللفظية هي دلالة لفظه على مصدره الذي هو القيام، ودلالته الصناعية هي دلالة بنائه على زمانه لأن صيغته (فَعَلَ) دلت على الزمن الماضي، أما دلالته المعنوية فهي دلالة معناه على فاعله لأنه يصح من كل مذكر يصح منه الفعل.¹

أما أقسام الدلالة عند علماء اللغة المحدثين فقد قُسمت على اعتبار مستويات اللغة إلى دلالة صوتية ودلالة صرفية ودلالة تركيبية ودلالة معجمية كما نجده عند إبراهيم أنيس في كتابة دلالة الألفاظ.² إضافة إلى الدلالة السياقية وهو ما لم يذكره ضمن هذه الأنواع.

2-1- الدلالة الصوتية: تلك الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات.³ فإذا حدث إبدال

أو تغيير صوت في كلمة بآخر أدى ذلك إلى اختلاف دلالة الكلمة نحو (جال وصال) (قام

¹ ينظر: ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، مصر، دت، ج3،

ص98-99.

² إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 46 وما بعدها

³ المرجع نفسه، ص 46.

وصام). وقد عُني القدماء بهذا النوع من الدلالات، فقد أشار إليها الخليل؛ في قوله: "كانهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًا، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا، فقالوا: صرصر".¹ وأحسن ابن جني تقصي هذا النوع من الدلالة في كتابه الخصائص، حيث عقد عدة أبواب في هذا السياق، وهي: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، وبابا في "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، وبابا "في قوة اللفظ لقوة المعنى" جمع فيها أمثلة تُبين القيمة التعبيرية للصوت الواحد في حال البساطة، وفي حال التركيب أيضا.

فهو يعتقد أن الحرف الواحد يقع على صوت معين، ويوحى بالمعنى المناسب؛ سواء أكان هذا الحرف أولا، أم وسطا، أم آخرا، ومن بين الأمثلة الكثيرة التي أوردها ابن جني نذكر: خضم وقضم؛ فالخضم لأكل الرطب والقضم للصلب اليابس، فاخثاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، إتباعا لما سمعوه من الأصوات على محسوس الأحداث.² وتوسعت دراسة الدلالة الصوتية مع المحدثين فتناولت النبر والتنغيم وغيرها من الظواهر الصوتية، سنعود لبسط الحديث بشأنها في المحاضرة الخاصة بهذا الموضوع.

2-2- الدلالة الصرفية: هي الدلالة المستخلصة من صيغ الألفاظ وأبنيتها، ودراسة التركيب الصرفي لأي لفظ يؤدي إلى بيان المعنى ووضوحه. ويؤدي التغير في بنية الكلمة إلى تغيير المعنى الدلالي الذي تؤديه الكلمة، فالمصادر التي جيئت على وزن فعلان تأتي لدلالة على الحركة والاضطراب نحو الغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال كما قال سيبويه.³ وعلى نهجه سار ابن جني، فقدم أمثلة كثيرة عن ذلك، نحو صيغة استفعل التي تأتي في الأغلب للدلالة على الطلب مثل استسقى واستطعم وغيرها. والدلالة الصناعية عند ابن جني هي ما يقابل الدلالة الصرفية.

¹ ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، ج3، ص152.

² المرجع نفسه، ص 157.

³ ابن جني: الخصائص، ج 2، ص 152.

2-3-الدلالة النحوية: ترتبط بتغير مواقع الكلمات في الجملة، فتغير الوظيفة النحوية يتبعه تغير في المعنى.¹ فجملة الأستاذ يسأل الطالب يختلف معناها عن جملة الطالب يسأل الأستاذ؛ لأن الوصف النحوي يقوم على وصف العلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة والعلاقة التي تصفها القواعد النحوية هي نفسها مستمدة من أمرين: أحدهما لغوي: يحكمه وضع الكلمات بطريقة معينة وبصيغة معينة في كتل صوتية خاصة. والآخر عقلي: وهو المفهوم المترتب على الوضع السابق من حيث ارتباط كل هيئة تركيبية بدلالة وضعية معينة.² فتضافر ما هو لغوي مع ما هو عقلي يضمن صحة الجملة دلالياً، وهذا ما يجعل الجملتين السابقتين مختلفتين.

2-4-الدلالة المعجمية: "هو المعنى الذي تدل عليه الكلمات حال انفرادها، وهذا المعنى لا يخضع للضبط ولا للتقعيد-كما يخضع المعنى الوظيفي-إنما هو معنى يحدده العرف العام."³ لأن العلاقة بين الدال والمدلول اعتبارية، وتمتاز الدلالة المعجمية بالتعدد والتنوع لأن السياق هو الذي يحدد دلالتها. فالدلالة المعجمية هي معاني الألفاظ التي دونتها المعاجم بعد أن تداولها الناس.

يقابل إبراهيم أنيس الدلالة المعجمية بالدلالة المركزية لأنها تمثل القدر المشترك من الدلالة بين الناس لذا يعمل اللغوي على حفظها في معجمه، وقد شبه الدلالة المركزية بتلك الدوائر الناشئة عن إلقاء حجر في الماء، فما يتكون منها أولاً يمثل الدلالة المركزية، أما ما يتبع تلك الدوائر من دوائر ثانوية فتمثل الدلالة الهامشية لأنها موجودة فقط في أذهان القلة من الناس وقد تضمنت ظلالاتها من المعاني لا يشاركون فيها غيرهم.⁴

¹ محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2001، ص 182.

² حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة-مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، دار الشروق، مصر، ط2، 2000،

ص 40.

³ المرجع السابق، ص 184.

⁴ إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 106 .

فالدلالة الهامشية عند إبراهيم أنيس "هي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم، وأجدادهم. وهي لدى فرد من البيئة الاجتماعية توحى بظلال من الدلالة قد لا تخطر في ذهن آخر من البيئة نفسها. لأن تجاربهما مع الكلمة مختلفة".¹ فهي نتاج فردي شخصي مختلط بالانفعالات النفسية والعاطفية، وتنعكس في ألفاظها ظلال الثقافة والبيئة والتجارب الشخصية والخبرة.

2-5- الدلالة السياقية: "وهو معنى يستنبط من القرائن اللغوية (السياق اللغوي) مع مراعاة الظروف الخارجية والأحوال التي تتصل بها (السياق غير اللغوي).² وهو السياق الاجتماعي، وسياق الموقف، أو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره، من متكلم ومستمع، وغير ذلك من الظروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام، والسياق له دور عظيم في بيان المعنى المراد، فهو يبيّن المجل، ويوضح الغامض.

خلاصة القول أن تقسيم الدلالة إلى دلالة اللغوية وغير لغوية هو نتيجة جهود الأصوليين والفقهاء لحاجتهم كما سبق ذكره إلى استنباط الأحكام من النص القرآني.

أما تقسيم اللغويين وهو يندرج ضمن الدلالة اللغوية، كان وفقا لمستويات اللغة لأن الدلالة هي نتاج جميع هذه المستويات (الصوتي، الصرفي، النحوي، المعجمي، السياقي)، وسنعود إلى تفصيل القول في بعض أنواعها في المحاضرة السابعة والثامنة لأهميتها في تكوين الطالب في تخصص اللسانيات .

¹ إبراهيم أنيس، مرجع سابق، ص 107

² محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 184.

المحاضرة الخامسة:

الدلالة واللسانيات الحديثة

يعتبر أغلب علماء اللغة أن علم النحو هو مركز الدراسات اللسانية في الوقت الذي يُعد علم الأصوات والدلالة طرفا هذا المركز، وبالتالي فعلم الدلالة هو جزء من علم اللغة أو مستوى من مستوياته.¹ وعليه فالدلالة لم تكن بؤرة اهتمام اللسانيين لأنها تطرح مشكلة مدى التزامها بمفهوم العلمية حتى يمكن إدراجها ضمن اللسانيات التي تعرف بأنها الدراسة العلميّة للغة.

فالشرط الضروري للدراسة العلمية هو أن العبارة المصوغة داخلها يجب أن يكون إثباتها عن طريق الملاحظة، ويتحقق هذا على المستوى الصوتي؛ ولكن يتعذر فعل ذلك مع الدلالة.² ذلك أن المعنى الذي هو موضوع الدلالة غير ثابت ولا مستقر؛ لأنه يعتمد على المتكلمين، والمستعملين، والسياق، وظروف إنتاج الكلام.³ مما يصعب ضبط قوانينه كما هو الحال مع الصوت والتركيب.

وعليه لم تحظ الدلالة بالاهتمام في بداية تأسيس النظريات اللسانية واعتبرت إشكالية تمنع من الصياغة العلمية للنظرية، لأنه ليس من السهل أن تجد قوانين للمعنى كما هو شأن التركيب، ولكن سرعان ما تداركت بعض النظريات أهمية الدلالة في بناء النظرية اللسانية لتصبح محل الاهتمام الذي تستحقه، وعليه سنقف عند أهم الاتجاهات اللسانية الحديثة لنرى كيف عالجت موضوع الدلالة وموقعه في نظرياتها.

1-الدلالة واللسانيات البنوية:

يُعد دي سوسير رائد اللسانيات البنوية في العصر الحديث، لأن ما اشتهر به من ثنائيات كان تمهيدا لظهور هذا الاتجاه؛ ذلك أنه ميّز بين اللغة والكلام، معتبرا اللغة نظاما

¹ ف.ر. بالمر: علم الدلالة إطار جديد، مرجع سابق، ص 16.

² أنظر: المرجع نفسه، ص 17 - 18.

³ صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، مرجع سابق، ص 11 - 12.

من العلامات لذا تتوجب دراستها العلمية أن توصف تزامنيا لا تاريخيا، والعلامة اللسانية كيان نفسي يجمع بين التصور الذهني وهو ما سماه دي سوسير بالمدلول، وصورة سمعية وهي الدال، والعلاقة الرابطة بينهما علاقة اعتباطية غير معللة.¹ وبالتالي لا أهمية للوحدات اللغوية إلا في إطار العلاقات التي تجمعها بغيرها داخل هذا النظام.

فاللغة عند دي سوسير "نظام من العناصر المعتمد بعضها على بعض، تنتج قيمة كل عنصر من وجود العناصر الأخرى في وقت واحد." ² لذلك فإن قيمة الكلمة لا تتحدد بمجرد أن لها هذه الدلالة أو تلك؛ بل بمقارنتها بكلمات أخرى تتقابل معها. وبالتالي فإن الكلمة لا تملك الدلالة فحسب، بل لها أيضا قيمة، والقيمة والدلالة شيئان مختلفان بالنسبة لدى دي سوسير.³ لأن الدلالة ترتبط بالجانب النفسي أما القيمة فترتبط بنظام اللغة، فالعلامة اللغوية بطرفيها (الدال بالمدلول) حسب دي سوسير لا تستطيع تحديد المعنى بل قيمة العلامة اللغوية ككل هي التي يمكنها فعل ذلك انطلاقا من ارتباطها بغيرها من الكلمات ضمن نوعين العلاقات: العلاقات التركيبية والعلاقات الإيحائية أو الترابطية.

فدلالة الكلمة المتشكلة من علاقة الدال بالمدلول بالنسبة لدى سوسير غير كافية أو كما قال لاتعني شيئا، إلا اذا تحددت في إطار القيمة وهذه القيمة " لا تحدها إلا علاقاتها بالقيم المشابهة الأخرى، وبدون هذه القيم لا وجود للدلالة. فإذا قلت إن كلمة ما تدل على شيء ما حين أقصد بذلك الارتباط بين الصورة الصوتية والفكرة، فإنما أعبر عن قول قد يوحى بما حدث فعلا، ولكنني لا أعبر عن الحقيقة اللغوية في جوهرها، تعبيراً كاملاً."⁴

لأن الحقيقة اللغوية قائمة على نظام القيمة، ذلك أن "النظام اللغوي هو سلسلة من الفروق الصوتية ترتبط بسلسلة من الفروق في الأفكار مشكلة نظاما من القيم تؤثر بعضها ببعض.

¹ دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق العربية، العراق، 1985، ص 89.

² المرجع نفسه، ص 134.

³ المرجع نفسه، ص 134.

⁴ المرجع نفسه، ص 136.

وبعبارة أخرى اللغة هي شكل وليست مادة¹ يؤكد دي سوسير على ضرورة عزل اللغة عن مادتها لتحوز اللسانيات استقلالها الذاتي، وهذا يعني أنه يمكن تحليل اللغة كتركيب من الأصوات دون أية إحالة إلى المعنى لأجل ذلك كان علم الأصوات والدلالة طرفاً، والتركيب هو المركز وهذا تصريح بأن دراستهما غير أساسية في بناء النظرية.

"إن التمييز بين القيمة الشكلية والفرقية للمدلول في النظام اللغوي من ناحية، ودلالته الإيجابية في الاستعمال اللغوي الفعلي من ناحية أخرى قد عرقل تطور علم الدلالة، وقد اتضح أن محاولة وصف المدلول في حدود السمات العلاقية التي أبدت نجاحاً واسعاً في وصف صواتم "الدال" قد أخفقت على نحو استثنائي وكان بإمكان علم الدلالة أن يتقدم بسرعة لو لم ينادي دي سوسير بأولوية القيمة على الدلالة أو المعنى."²

ولقد سار على أثر دي سوسير باحثون كثر محتقنين بأفكاره تأييداً أو معارضة، أمثال جماعة حلقة موسكو وبراق، حيث أُعتبرت هذه الأخيرة أنها ممثلة للاتجاه "البنوي الوظيفي"³ فهي بنيوية لا اعتبارهم أن اللغة نسقا وبنية شكلية، وهي وظيفية لأنها تنظر للغة على أساس الوظائف التي تؤديها عناصرها.

وعلية فإن "بنيوية دو سوسور تُعنى بدراسة بنية أو (بنى) اللغة في حد ذاتها على نحو مستقل، ليس فقط بعزلها عن التاريخ، أو العالم الخارجي، بل أيضاً عن نسيجها الاجتماعي التي تعيش فيه، والعمليات النفسية التي يقوم بهام متكلموها عند فهمها، أو اكتسابها."⁴ فقد أصبح الاكتفاء بدراسة بنية اللغة فقط سجن للمعنى كما وصفه بعض الباحثين، لأنه انغلاق على البنية الشكلية للغة دون الحاجة للاستعانة بأي شيء خارجها.

¹ دي سوسير: علم اللغة العام، 139-140.

² أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005، ص134.

³ ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة،

لبنان، ط1، 2012، ص92.

⁴ محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004، ص67.

وفي أمريكا أرسى بلومفيلد الفكر البنيوي بإبعاده دراسة المعنى من الوصف اللغوي لا لعدم أهميته بل بسبب صعوبة البحث فيه موضوعيا، غير أنه قد أثر في أجيال من اللسانيين، وربما كان هذا أحد أسباب تخلف البحث الدلالي عن نظائره من فروع اللسانيات الأخرى.¹ مما أصبح مسلما به عند التيار البنيوي أن النظام اللساني منغلق على نفسه تكمن أهميته في العلاقات التي تتشكل داخل بنيته، وبالتالي فالمعنى أو الدلالة عندهم لن تتجاوز حدود المدلول المتعلق بالدال، وعليه فإن المعنى لا يستلزم إحالة اللغة على أي شيء خارج عنها، بل يتوقف عند حدود العلاقات التوزيعية بين العلامات اللسانية.²

فالدلالة بالنسبة للسانيات البنيوية محدودة في إطار ما يعنيه المدلول ضمن بنية اللغة.

2-الدلالة واللسانيات التوليدية:

إذا كانت الدلالة عند دي سوسير قد انحصرت في علاقة الدال بالمدلول فإن الاتجاه التوليدي يعتبر أيضا ضمن مسار اللسانيات البنيوية، لأن نظريته أيضا تأسست على أساس الشكل لا المعنى، وهذا يرجع للخيار المنهجي الذي اتخذه مؤسسها نعوم تشومسكي ظنا منه أن تطور لسانيات علمية يتطلب ذلك، وهو بذلك "يحقق في الحقيقة فصلا كاملا لشكل اللغة عن مضمونها وهكذا فإن النتائج المحققة هي بالمقابل شكلية محضة، عارية من أية دلالة لسانية."³ لأنه تعامل مع "اللغة كنموذج ميكانيكي يشق الجمل بواسطة التطبيق الآلي للقواعد؛ شكل اللغة، وقواعد اللغة، وتوليد الجمل كلها محددة من دون أية إحالة إلى السياق الذي جرى فيه تعلم واستخدام اللغة، ومن ثم من دون أية إحالة إلى نية الاتصال التي - بالنسبة لأغلب الناس- تعطي اللغة دلالتها."⁴

¹ المرجع السابق، ص 69

² صابر الحبابشة: تحليل المعنى - مقاربات في علم الدلالة، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ط1، ص 40.

³ سايمون كلارك: أسس البنيوية- نقد ليفستراوش والحركة البنيوية، تر: سعيد العيلمي، دار بدائل للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015، ص 137 .

⁴ المرجع نفسه، ص 135.

والمشكلة هنا هي أن تشومسكي قد اختزل اللغة إلى مجموعة من الجمل النحوية، منفصلة عن السياق الذي تقوم فيه بوظيفة لغوية، وإذا تجردنا عن معنى الجمل وعن وظيفتها ضمن التفاعل الإنساني في إيصال المعنى فإننا سنكون غير قادرين أيضا على صنع أي تميزات دالة بين سلاسل الرموز التي لا معنى لها والاستخدام ذي المعنى للغة من أفراد البشر.¹ وهذا يعني أن تشومسكي لم يكن مدركا لأهمية الدلالة في بناء نظريته في بداية تأسيسها، غير أنه قد أدرك أهميتها بعد النقد الذي وجه لهذه النظرية لإهمالها جانب الدلالة

وعليه فقد انقسم أصحاب اللسانيات التوليدية إلى اتجاهين: "اتجاه يربط النحو بالدلالة ويرى أن النحو هو الأساس والدلالة عنصر تفسيري هذا الاتجاه تبناه تشومسكي وهو ما سمي بالدلالة التأويلية، واتجاه آخر يرى أن الدلالة هي التركيب العميق للجملة وأن النحو ليس سوى وسيلة لتحويل التركيب العميق إلى تركيب سطحي وهذا هو الاتجاه المسمى بالدلالة التوليدية."²

فتشومسكي يرى أن الدلالة عنصر تفسيري فقط للبنية العميقة، وعليه فقد اعتبر المكون التركيبي هو المسؤول عن توليد البنيات اللغوية عند البشر بإنتاج الجمل النحوية في اللغة التي يتكلمونها. ويعمل المكون على توليد المتواليات الجيدة نحويا ويلغي غيرها. كما يتضمن النحو، إلى جانب المكون التركيبي، مكونا صوتيا، ومهمته إسناد شكل صوتي (مستمد من تمثيل صوتي) لتلك المتواليات التي ولدها المكون لتركيبي.³

أما المكون الدلالي فوظيفته تفسيرية. لذا اعتبر تشومسكي "أن أي بحث عن تعريف (للقواعدية) يعتمد على الدلالة يكون عقيما."⁴ لصعوبة هذا البحث لا لعدم أهميته.

¹ سايمون كلارك: أسس البنيوية، ص 135.

² صلاح الدين حسين، مرجع سابق، ص 115.

³ عبد المجيد جحفة: علم الدلالة الحديث، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 2000، ص 59.

⁴ نوم جومسكي: البنى النحوية، تر: يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 1987، ص

تتألف البنية العميقة عند تشومسكي إذا من المكون التركيبي كـمكون أساسي لتوليد الجمل، أما المكون الدلالي والمكون الصوتي فهما تفسيران فقط، حيث يرتبط المكون الدلالي بالبنية العميقة والمكون الصوتي بالبنية السطحية. لذا فإن النحو التوليدي يبني على فكرة أساسية قوامها أن الجملة تولد في ذهن المتكلم في شكل تركيب شكلي في مستوى البنية العميقة، وبعد اكتمالها يأتي المكون الدلالي لاحقا فيزودها بالمعنى ويفسرها.

فمثلا جملة "الطالب مُنتبه"؛ فشكلها المجرد يكون خاليا من المعنى (مسند إليه + مسند)، فالمعلومات التي نحصل عليها من التركيب العميق ستسمح لنا بشيئين، أولهما؛ أننا نستطيع أن نولد التراكيب السطحية عن طريق قواعد التحويل المتمثلة في (الإضافة والحذف والاستبدال ...) وثانيها؛ أننا نستطيع التوصل إلى المعنى من البنية العميقة بواسطة قواعد التفسير الدلالي المتمثلة في المعلومات النحوية والمعجمية.

لذا يؤكد تشومسكي " أن نظام القواعد مستقل عن المعنى." ¹ فموقف تشومسكي من المعنى يبني على أن وظيفة الدلالة هي تأويل التركيب ولذلك سمّي هذا التيار بالدلالة التأويلية. لأنها تأتي لاحقا لتأول التركيب الشكلي ذي المنزلة المركزية في النحو التوليدي. وينبغي أن نلاحظ غياب مكون يسند التأويل الدلالي للبنى التي يولدها التركيب. والمعجم هو الذي يزود البنية التركيبية بالمعنى. ² لذا عمل تشومسكي على تطوير نظريته لكثرة ما قدم في حقها من نقد، وتحقق لديه ضرورة تفعيل المكون الدلالي في تفسير معنى الجمل، ليس بالرجوع فقط للبنية العميقة بل أيضا بالنظر لتفسير الدلالي للجملة. ³

أما الدلالة التوليدية؛ فقد دعا إليها بعض تلامذة شومسكي أمثال (لايكوف George Lakoff – روس John R. Ross – ماكاولي James McCawley) وذلك بقلب تصوره بشأن أن (الدلالة تتبع التركيب) ليصبح التركيب تابع للدلالة، حيث اعتبر هؤلاء أن الأبنية

¹ نوم جومسكي: البنى النحوية، ص22.

² عبد المجيد جحفة: المرجع السابق، ص 60.

³ كلود جرمان وريمون لوبلان: علم الدلالة، ص 110.

التركيبية هي أبنية دلالية.¹ أي أن دلالة الجملة تنشأ مباشرة في البنية العميقة ثم بعد ذلك تتخذ شكلا نحويًا. وعليه فإن الدلالة تحدّد النحو وليس النحو هو من يحدّد الدلالة. وبالتالي فإن البنية العميقة ليست بنية شكلية بل بنية دلالية منذ البداية.

ومع ذلك تبقى الدلالة محدودة في هذه النظرية أيضا لإهمالها السياق الدلالي ذلك أن التحوليين يريدون دراسة اللغة دراسة علمية قائمة على اللغة ذاتها، ولهذا يهملون الموقف والمقام الذي تقال فيه الجمل، ليس لأن المقام لا أهمية له في تحديد معاني الجمل، بل لأنه يضيف صعوبة إضافية لمنهج التحليل اللغوي المنظم، وهو عنصر تصعب دراسته بشكل علمي منظم.² لذلك فإن دراسته تترك لفئة أخرى من علماء اللغة الباحثين في الجانب الاجتماعي وهذا من أهم الانتقادات الموجهة إلى الدلالة التوليدية عدم اهتمامها بالبعد التداولي للبنى التي تصفها، وبهذا لا يمكن أن تمدنا بالتأويل الدلالي الكامل للجمل بما في ذلك ظروف إنتاجها.

ذلك أن كل جملة تتضمن على دلالة مقالية ترتبط بالمعاني الحرفية للألفاظ ودلالة مقامية ترتبط بما وراء اللفظ. لكن تشومسكي يجعل من "الممكن عزل اللغة كموضوع علمي عن سياقها ومن ثم بحثها من دون الإحالة إلى النوايا الاتصالية للمتحدثين، وهكذا من دون الإحالة إلى أي معنى خارجي."³ لدرجة أنه اعتقد أن علم النحو يمكن أن ينشأ من دون تقديم أي اعتبارات دلالية.

¹ جاك موشلروآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، تونس، ط2، 2010، ص35.

² نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص 236.

³ سايمون كلارك: أسس البنيوية، مرجع سابق، ص 164.

المحاضرة السادسة:

الدلالة واللسانيات الحديثة (تكملة)

3 - الدلالة واللسانيات الوظيفية:

لقد صاغ أصحاب النحو الوظيفي نظريتهم النحوية على اعتبار أن اللغة أداة تواصل، قائمة بين متكلمين يتداولون الحوار، وبذلك فإن مكوناتها التركيبية التي نلاحظها أثناء العملية التواصلية، لا تخرج عن كونها وظائف دلالية وتركيبية وتداولية، ويعتبر النحو الوظيفي من هذا المنطلق معالجة نوعية للأنحاء التي قامت في بنائها لقواعدها التركيبية على الوصف البنيوي، عازلة اللغة عن وظيفتها التواصلية.

وبعد ما أثبتت هذه الأنحاء عجزها عن تفسير العديد من الظواهر اللغوية، كان من الطبيعي أن يتجاوز البحث اللساني في إطاره الوظيفي القدرة النحوية للغة إلى القدرة التداولية، في فهم اللغة فهما عميقا لا يمكن أن يكون إلا عن طريق ربطها بمختلف الأهداف التداولية التي تستعمل من أجلها.

"لهذا يعتبر النحو الوظيفي أن الوصف اللغوي الكافي هو الوصف الذي يسعى إلى تحقيق الكفاية التداولية بالإضافة إلى الكفائيتين النفسية والنمطية. وتتحقق الكفاية التداولية حين يستطيع الوصف اللغوي أن يرصد التفاعل القائم بين اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية، أي حين يستطيع أن يربط بين الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية والأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها."¹

فالنحو الوظيفي هو النحو الذي لا يقتصر على الدور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة، أي الوظائف التركيبية (أو النحوية: كالفاعل والمفعول...); لأن هذه الوظائف لا تمثل إلا جزءا من كل، تتفاعل مع وظائف أخرى، مقامية (أو تبليغية: هي الوظائف الدلالية،

¹ أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية: وظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1987، ص 5.

والوظائف التداولية)، بحيث تترابط الخصائص البنيوية للعبارة اللغوية، بالأغراض التبليغية (التواصلية) التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها.¹

وليحقق النحو الوظيفي هذه الغاية يتوجب عليه وصف القدرة التواصلية بين طرفي العملية التواصلية (المتكلم والمخاطب). كما ينظر إلى التركيب والدلالة من وجهة تداولية يطمح من خلالها إلى تحقيق الكفاءة في الاستعمال التداولي، وبالتالي تحقيق الكفاءة التداولية؛ وتعني أن النحو الوظيفي لا يقتصر على القواعد التي تضمن سلامة بناء الجمل أو النصوص فحسب بل تُعنى بالقدر نفسه برصد القواعد والشروط اللازمة لجعلها مقبولة وناجحة وملائمة للموقف التبليغي.

فإذا كانت الأنحاء الصورية أي الشكلية قد فصلت المستوى التركيبي عن المستوى الدلالي والتداولي واقتصرت دورهما في تفسير البنيات التركيبية، "فإن النحو الوظيفي قد جعل من الدلالة والتداول مستويين يتضمنان كل المعلومات التي تحتاجها القواعد التركيبية المحددة لرتبة المكونات والحالات الإعرابية وغير ذلك من الخصائص التركيبية والصرفية."² وعليه تتكون بنية النحو الوظيفي المقترحة من مستويات تمثيلية ثلاثة:

1- مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية كوظيفية المنفذ والمتقبل والمستقبل والمكان والزمان.
2- مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية ويندرج تحته وظيفتان فقط هما وظيفة الفاعل والمفعول.

3- مستوى لتمثيل الوظائف التداولية وهي خمس وظائف، اثنتان داخليتان هما المحور والبؤرة، وثلاث خارجية هي المبتدأ والمنادى والذيل.

فالوظائف الدلالية (منفذ، متقبل، مستفيد)؛ وهي وظائف دلالية تحملها محلات الحدود وتفهم من الواقعة الدال عليها المحمول. مثال ذلك جملة (كتب الطالب الدرس) فالفعل (كتب) مثلاً هو المحمول في هذه الجملة، وحدود موضوعاته (الطالب والدرس) وهما حدان مساهمان

¹ أحمد متوكل: المرجع السابق، ص: 05.

² أحمد متوكل: اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري، دار الكتاب الجديدة، لبنان، ط2، 2010، ص 17-18.

في واقعة الكتابة، ولا حدود لواحق في هذه الجملة، والوظائف الدلالية في الجملة وظيفتان (منفذ: الطالب) (متقبل: الدرس). وهذا الإطار الحملي الذي يكتفي بحدود الموضوعات يسمى الإطار الحمل النووي، وإذا أضيف له حدود لواحق يسمى الإطار الحملي الموسع. وبهذا يكون النحو الوظيفي قد بنى نظريته في شكلها الصوري معتمدا على تمثيل الدلالة في مستوى يمكنه تحديد الوظائف الدلالية للغة.

خلاصة القول في موقع الدلالة من اللسانيات الحديثة حسب اتجاهاتها أن الاتجاه البنيوي قد حصر الدلالة في علاقة الدال بالمدلول فهي لا تتجاوز حدود بنية اللغة، وفي المساق نفسه سار الاتجاه التوليدي الذي حصر الدلالة في بداية نشأة نظريته في دور التفسير من خلال ما تعنيه الدلالة المعجمية للألفاظ وما تمليه قواعد التفسير الدلالي، بزيادة صاحب النظرية تشومسكي، ليتحول المسار إلى عكس ما كان يتصوره؛ وتصبح الدلالة على أيدي بعض من تلامذته هي المكون الأساسي للجملة والتركيب هو التابع لها.

أما اللسانيات الوظيفية فلقد حاولت من البداية معالجة قضية المعنى وإشكالية الدلالة في صياغة النظرية اللسانية فاتجهت إلى صياغة علمية جعلت الدلالة مستوى أساسيا من مستويات اللغة، لأنها كانت تطمح ليس فقط في الوقوف عند المعنى اللساني الذي ينشئه المقال بل تبحث عن المعنى التداولي المستفاد من المقام.

المحاضرة السابعة:

الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية

وكما سبق الإشارة إليه في محاضرة أنواع الدلالة، فقد وجدنا أن اللغويين قد قسموا الدلالة إلى: دلالة صوتية ودلالة صرفية ودلالة نحوية ودلالة سياقية. وفي هذه المحاضرة نأتي إلى تفصيل القول بشأنها.

1 - الدلالة الصوتية:

وهي الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات.¹ فإذا حدث إبدال صوت في كلمة بصوت آخر، أدّى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى، أو هي المعاني المستفادة من نطق أصوات بعينها. لكن مناسبة الأصوات المسموعة لمعانيها أمر اختلف بشأنه الباحثون، وذلك لصعوبة الجزم بأثر الأصوات في تحديد معاني الألفاظ أو محاولة إثبات أثرها على مستوى النص.

يرجع ذلك لسبب بسيط هو اعتبارية العلاقة بين الدال والمدلول، مما يُسقط أهمية الصوت في دلالة الكلمة لأنه كان بالإمكان أن يأخذ مسمى آخر. إضافة إلى ذلك فإن الباحثين المعارضين لدلالة الصوت يعتقدون أن الأصوات لا تحمل معاني في ذاتها، ذلك أن هذه المعاني لا يحددها عامل واحد بل تشترك فيه عدة عوامل لعل أشهرها الظروف التي تحيط بالكلام، وهو ما يعرف بسياق الحال.²

وفي المقابل فإن ما تركه ابن جني في كتابه الخصائص - كما سبق الإشارة إليه - يؤكد الدلالة الصوتية، في الأبواب التي عقدها باب في "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، وباب في "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، وباباً في "قوة اللفظ لقوة المعنى"، لأنه جمع فيها أمثلة تُبين أهمية الصوت في دلالة الكلمة مفرداً كان أو مركباً، محاولاً إثبات أن الحرف الواحد يقع

¹ إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 46.

² صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، مصر، دت، ص

على صوت معين، ويوحى بالمعنى المناسب؛ حيثما ما وقع في الكلمة، يقول في ذلك: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج مُتَلَبِّبٌ عند عاريفيه مأموم. وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدّلونها بها ويحتذّونها عليها، وذلك أكثر مما نقره.¹ فمثال ما وقع فيه الحرف أول الكلمة: "العسف والأسف، والعين أخت الهمزة، كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين.² هذا مثال من أمثلة كثيرة ساقها ابن جني في كتابه.

1-1- دلالة الصوت المفرد والمركب:

للصوت المفرد دور في تحديد دلالة الكلمة لأن مجرد تغييره أو استبداله في الكلمة سيغير من دلالتها ومهما تقاربت مخارج الأصوات تبقى هناك فروق تمييزية بينها كما بين ذلك ابن جني في دلالة الهمزة في لفظة "أزا" الواردة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرَا﴾ يقول: "أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزِّ؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجدع وساق الشجرة، ونحو ذلك.³ فناسبت قوة الهمزة معاني لفظة "أزا" الدالة على الاهتزاز والحركة الشديدة والإزعاج، فهي أشد وأقوى من "هزّ".

لقد وضّح ابن جني هذه الجوانب بكثير من الشواهد، أظهر من خلالها القيمة الدلالية لأصوات العربية وأبنيتها، مبينا من خلالها العلاقة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها، على اعتبار أن الألفاظ أداة للوصول إلى الغاية الأساسية وهي المعاني المراد بها القصد إلى الأفكار والأغراض.

¹ ابن جني: الخصائص، مرجع سابق، ص 159.

² المرجع السابق، ج2، ص 146.

³ المرجع نفسه، ص 146.

ولقد سار على هذا النهج بعض الباحثين من بينهم أحمد فارس الشدياق مؤسس القيمة التعبيرية للصوت في الألفاظ العربية، وعباس محمود العقاد الذي اهتم بموقع الصوت في الكلمة لارتباطه بدلالاتها فهناك أصوات لا تظهر دلالتها إلا في بداية الكلمة وبعضها في آخرها مثل صوت الحاء الذي يحمل معاني السعة بلفظه ووقعه في السمع، وقد لا تكون لها هذا المعنى في غير هذا الموقع، لأن دلالاتها ليست مصاحبة لفظها، مثل: سماح، فلاح، فرح، مرح، صفح...¹

هذا فيما يتعلق بدلالة الصوت المفرد وللصوت المركب مع غيره أيضا دلالة خاصة، وأول من انتبه إلى ذلك ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة، مثال ذلك اجتماع الدال مع اللام بحرف ثالث تدل على حركة ومجيئ وذهاب وزوال من مكان إلى مكان.² نحو: دلت: يدل على الاندفاع، ودلج: يدل على السير ومجيئ وذهاب، دلح: يدل على المشي ودلج يدل على الخروج.

واتبعه في ما ذهب إليه ثلة من الباحثين راحت تبحث عن دلالة اجتماع الأصوات مثل دلالة الهمزة والباء وما تلتها على النفور والانفصال في الألفاظ: أبى (الشيء كرهه) ، أباح (السر : أظهره) ، (أباد : أهلك)...³

ولقد اعتبرت دلالة الصوت المركب معيارا لمعرفة أصالة الكلمات العربية، لأن اللغة العربية ترفض اجتماع بعض الأصوات في كلمة واحدة مما يجعل وجودها في بعض الكلمات دليل على أنها دخيلة وتم تعريبها مثل: اجتماع الجيم والطاء في كلمة طاجن بمعنى المقلب.⁴ هذا غيض من فيض مما تنبه له علماء اللغة الأوائل لأن الأمثلة أكثر مما تحصى، أما المحدثين فإنهم أضافوا إلى ذلك دلالة الفونيمات غير التركيبية، وهذا طبعا بعد أن اطلعوا على

¹ ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص 147 وما بعدها

² ابن فارس: مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج 2، ص 198.

³ المرجع السابق، ص 153، 156.

⁴ المرجع نفسه، ص 156، 157.

اللسانيات الحديثة وما توصلت إليه من أن الفونيم هو "أصغر وحدة صوتية يؤدي استبدالها إلى تغيير معنى الكلمة."¹ مثال ذلك: قال ، نال، عال، زال...

وهو نوعان: الفونيم التركيبي: أو القطعي؛ وهو الوحدة الصوتية التي تكون جزءا من أبسط صيغة ذات معنى منعزلة عن السياق، فهي جزء أساسي في تركيب الكلمة كالباء والتاء وغيرها من الصوامت وكذلك الصوائت.² والفونيم غير التركيبي: أو غير القطعي؛ إن هذا النوع من الفونيمات لا يكون جزءا من تركيب الكلمة أو المنطوق، وإنما يظهر حين تستعمل الكلمة بصورة خاصة.³ ومن أمثلة ذلك؛ النبر والتنغيم والمفصل وغيرها.

1-2- دلالة النبر:

يجمع كمال بشر في تعريفه للنبر بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتكاملهما فيقول: "النبر في اللغة معناه البروز والظهور، ومنه المنبر في المساجد ونحوها، وهذا المعنى ملحوظ في دلالاته الاصطلاحية؛ إذ هو في الدرس الصوتي يعني نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره."⁴

وعرّفه إبراهيم أنيس بأنه "نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد. فعند النطق بمقطع منبور، نلاحظ أن جميع أعضاء النطق تتشط غاية النشاط؛ إذ تتشط عضلات الرئتين نشاطاً كبيراً، كما تقوى حركات الوترين الصوتيين ويقتربان أحدهما من الآخر، ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء فتعظم لذلك سعة الذبذبات. ويترتب عليه أن يصبح الصوت عالياً واضحاً في السمع. هذا في حالة الأصوات المجهورة؛ أما الأصوات المهموسة فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما مع الصوت المهموس غير المنبور. وبذلك يتسرب

¹ محمد علي الخولي : معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، 1986، ص 127

² محمد جواد النوري :علم أصوات العربية ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، فلسطين ، ط1، 1996، ص 129

³ المرجع نفسه، ص 129

⁴ كمال بشر: علم الأصوات ،دار غريب للطباعة والنشر، والتوزيع ، مصر، 2000 ، ص512

مقدار أكبر من الهواء.¹ فالنبر إذا هو تلك الشدة أو الارتفاع في الصوت يرتبط بنسبة ضغط الهواء الخارج من الرئتين، ولا علاقة له بدرجة الصوت أو نغمته الموسيقية. والنبر ليس فونيميا في جميع اللغات وإنما في اللغات النبرية فقط تلك اللغات التي يعمل فيها النبر على التفريق بين معاني الكلمات مثل اللغة الانجليزية.

"وللنبر قيم صوتية (نطقية) وأخرى فونولوجية (وظيفية)؛ فهو من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح، يميز مقطعا من آخر أو كلمة من كلمة أخرى، أما من الناحية الوظيفية فإن النبر يقود إلى تعريف التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد عند تنوع درجات نبرها ومواقعه بسبب ما يلحقها من تصريفات مختلفة.² مثل: كتب وكاتب فالنبر واضح على المقطع الأول (كا)، وهذا ما يعين على تمييز كلمة عن أخرى.

أما على مستوى الجملة فيفيد التأكيد أو المفارقة أو التعبير عن الانفعالات والمشاعر حيث ينتقل النبر من كلمة لأخرى ليبين ذلك. كما أن النبر يُعين على التعرف على بدايات الكلمات ونهايتها، بسبب دخولها في سلسلة كلامية تتداخل فيها مع غيرها من الكلمات.³ فلننبر أثر في تغيير بنية الكلمة من معنى صرفي إلى آخر، فهو يساعد على التمييز بين الكلمات مثل: (يزيد طويل)، وجملة (يزيد خالد الكيل)، فقد وقع النبر في الكلمة الأولى على المقطع الأول وهي اسم وفي الكلمة الثانية على المقطع الثاني وهي فعل. ومع هذا لا يعتبر النبر في العربية فونيميا وظيفيا لأن العرب تعتمد على السياق، ولن تجد الفرق بين الكلمتين إن نطقت منفردة.⁴ ولهذا السبب نجد موضع النبر في الكلمات العربية شبه ثابت، ولا يؤدي دورا فاصلا في تمييز الكلمات عن بعضها بعضا في حالة انفرادها خاصة.

¹ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط5، 1975، ص 169.

² كمال بشر: علم الأصوات، مرجع سابق، ص 514.

³ المرجع نفسه، ص 515.

⁴ منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1،

ومع ذلك عمل الباحثون المحدثون على تحديد موضع النبر في اللغة العربية " فهو يقع على الصائت الأول في الكلمة إذا كانت بقية الصوائت قصيرة، وعلى الصائت الطويل إذا كان هناك صائت طويل واحد في الكلمة، وعلى الصائت الطويل الأخير إذا كان هناك أكثر من صائت طويل في الكلمة."¹

ويرشدنا إبراهيم أنيس لمعرفة موضع النبر إلى معرفة نوعية مقاطع الكلمة؛ فيجب النظر إلى المقطع الأخير فإن كان من النوعين الرابع أو الخامس كان هو موضع النبر مثل نستعين، فإن لم يكن كذلك ينظر إلى المقطع الذي قبل الأخير فإن كان من النوع الثاني أو الثالث، فسيقع النبر عليه مثل: كتاب، أما إذا كان من النوع الأول، نظر إلى ما قبله فإن كان مثله كان النبر على المقطع الأخير من الكلمة مثل: كتب ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر إلا في حالة ما كانت المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول.² وهذه التوضيحات دليل على أن النبر لا يتحكم في دلالة الكلمة.

1-3- التنغيم: هو "إعطاء القول الأنغام المناسبة والفواصل المناسبة. وقد يكون القول كلمة أو جملة أو جزءاً من جملة. والقول كلام مسبق بصمت ومتبوع بصمت."³ فالتنغيم هو مجموعة التغيرات التي تطرأ على النغمة أثناء الكلام، مما يسمح للمتحدث من التعبير عن انفعالاته بما يعينه على تحديد دلالة كلامه. ولهذا يسمى إبراهيم أنيس التنغيم بموسيقى الكلام، للاختلاف الحاصل في درجة الصوت، "وتختلف معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت عند النطق بالكلمة."⁴

وهو من الظواهر الصوتية التي تساعد في تحديد المعنى، لأنّ "تغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات، وتختلف هذه الدلالة من سياق لغويّ لآخر، فوظيفته الدلالية مثلاً تقتضي منه أن يكون فيصلاً في الحكم بين كون الجملة تقريرية أو استفهامية

¹ منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، ص 80.

² إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 172.

³ محمد علي الخولي: معجم علم الأصوات، مرجع سابق، ص 47.

⁴ المرجع السابق، ص 124.

والتنغيم مثل النبر يقع في الخطاب المنطوق ويقابله في الخطاب المكتوب علامات الترقيم مثل علامات التعجب والاستفهام، ويرتبط التنغيم في الأداء بالحركات الجسمية ارتباطاً أكيدا لما لها من مشاركة فعالة في تحقيق الدلالة المقصودة.¹ كما يقوم التنغيم بتحديد غرض الأساليب الخبرية والإنشائية مثل الاستفهام: عاقل أنت؟ والتعجب: صغير ومبدع! والنداء نحو: محمد تعالى.

وتعرف اللغات التي تعتمد على ذلك باللغات النغمية، مثل اللغة الصينية؛ الذي يعني فيها المقطع(ما) والدة إذا نطق بنغمة صاعدة، ويعني حسان عندما ينطق بنغمة هابطة. وفي لغات أخرى مثل العربية والانجليزية... وغيرها يؤدي التنغيم وظيفة التعبير عن المعاني الانفعالية من غضب وفرح ودهشة.... الخ وتعرف هذه اللغات باللغات التنغيمية.² لأن فهم دلالة الكلمة أو الجملة لا يتوقف على التنغيم بقدر ما يتحكم فيه السياق.

لقد اختلف الباحثون بشأن النبر والتنغيم في أهميتهما في تحديد المعنى في اللغة العربية، فبعضهم يقتصر أهمية النبر في تحديد الكلمات ككل والتنغيم في تفرقه بين الجملة الاستفهامية والنقريرية وغيرها كما أشار إلى ذلك أحمد عمر مختار.³

لكن هناك من الباحثين كالباحث أحمد نعيم الكراعين يرفض الفكرة برمتها ولا يرى للتنغيم أي مزية في تحديد معنى الجملة ويرد ذلك لكون العربية لغة اشتقاقية ومعربة أعطتها الحرية في اختيار الصيغة اشتقاقا، والتقديم والتأخير تركيبا، فالصيغة اللغوية تغني عن النبر والتقديم والتأخير يغني عن التنغيم في تحديد المعنى، أما اللغات الغربية فقد احتاجت لهما لأنها لغات إصاقية وذات مقاطع، وليست معربة إضافة إلى أن الاشتقاق فيها محدود، فكان النبر والتنغيم

¹ محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء الدلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2، 2011، ص 52

² عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: مقدمة في علم أصوات العربية، الجريسي، مصر، ط3، 2004، ص 198.

³ أحمد عمر مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، مصر، ص 229-230.

تعويضاً عن تلك الخاصة التي تتميز بها العربية.¹ وهذا ما يفسر عدم اهتمام الأوائل بهذه الظواهر.

1-4- دلالة المفصل: أو الوقفة؛ ويسمى كذلك الانتقال، وهو عبارة سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي يقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما وبداية أخرى.² فهي فواصل تفرق بين حدود أصوات اللغة وكلماتها ويدخل فيها كذلك وقفات المعاني أو الوقفة التي تؤدي معنى كالتأكيد والإعراض والغض والموافقة مثل قول الشاعر:

عَضْنَا الدَّهْرَ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهِ

لا تتضح دلالة هذا البيت إلا بفصل المتكلم بين (بنا) و(به) في الشطر الثاني حتى لا تلتبس مع (بنابه) الموجودة في الشطر الأول.

2- الدلالة الصرفية:

تبنى على ما يقدمه علم الصرف؛ وهو العلم الذي تعرف به الأبنية المختلفة للكلام، وما يشتق منه كأبواب الفعل، وتصريفه، والاسم والمصادر وأنواعها والمشتقات (اسم الفاعل، واسم المفعول، الصفة المشبهة واسم الزمان والمكان، وصيغ المبالغة، واسم الآلة والتصغير والنسب).³

فلكل بناء من هذه الأبنية دلالة في المعنى إلى جانب وظيفته التركيبية وتحديد شكل البنية يقوم على المعنى المراد، فالمتكلم يتحكم في تصريف الكلمة الأصلية بزيادة أو نقصان أو نقل من زمان إلى وزمان.⁴ مثل: علم، يعلم، استعلم، اعلم....

¹ أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط 1993، ص 96-97.

² ماريو باي: أسس علم اللغة مرجع سابق، ص 95.

³ مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان، ط 2، 1984، ص 256.

⁴ محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء الدلالة، مرجع سابق، ص 61.

ويقابل الدلالة الصرفية، الدلالة الصناعية عند ابن جني (كما سبق الإشارة إليه)؛ فهي من حيث قوة المعنى وسطا بين الدلالة اللفظية والدلالة المعنوية، مثال ذلك "قام" فدلالة اللفظية هي دلالة لفظه على مصدره الذي هو القيام، ودلالته الصناعية هي دلالة بنائه على زمانه لان صيغته (فعل) دلت على الزمن الماضي، أما دلالته المعنوية فهي دلالة معناه على فاعله لان يصح من كل مذكر يصح منه الفعل.¹

وأول من نبه إلى الدلالة المستفادة من الصيغة الصرفية سبويه حين أشار إلى المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت معانيها؛ مثل الغليان لأنه زعزعة وتحرك، وكذلك الغثيان لأنه النفس تجيش وتثور، ومثله الخطران واللمعان لأن هذا اضطراب وتحرك، وأيضا اللهبان والوهجان لأنه تحرك الحر وتثوره. وسار على حذوه ابن جني يبحث في اللغة العربية عن أشباه ذلك فوجد من ذلك الكثير على حد قوله، مثل المصادر الرباعية المضعفة العين فإنها تأتي للتكرير نحو: الزعزعة والقلقلة والصلصلة، والقرقرة وغيرها.²

وتتقسم الوحدات الصرفية ذات الدلالة إلى نوعين:

- 1- الأوزان الصرفية: أوزان الأفعال والمصادر والمشتقات وهي مما يطول الحديث فيه، بما لا يسمح لنا المقام على ذكر جميعها في هذه المحاضرة، لذا نكتفي ببعض الأمثلة.³
- 2 - اللواحق: وهي السوابق مثل أحرف المضارعة، والدواخل وهي التي تدخل في بنية الكلمة لتحقيق معاني أو تشارك في الدلالة مثل: ألف التكسير في جمع التكسير مثل: (دراهم) وياء التصغير (دريهم) واللواحق مثل ياء النسبة وتاء التأنيث، وواو الجمع.

وفي باب "الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني" أورد ابن جني حججه في اهتمام العرب بالمعاني من خلال ما قدمه حول أهمية حروف المعاني في قوله: "ويدلك على تمكن المعنى في أنفسهم وتقدمه عندهم تقديمهم أحرف المعنى في أول

¹ ينظر: ابن جني: الخصائص، ج3، ص 98-99.

² المرجع السابق، ج2، ص 152-153.

³ ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 207 فما بعدها للاستزادة أكثر

في موضوع دلالة الأوزان الصرفية.

الكلمة، وذلك لقوة العناية به، فقدموا دليله ليكون أمانة عليه لتمكنه عندهم. وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة؛ إذ كن دلائل على الفاعلين: من هم، وما هم، وكم عدتهم؛ نحو أفعَل، ونفعل، وتفعل، ويفعل.¹ فقد كان موضعها الصدارة، وفي المقابل فإن حروف الإلحاق والصناعة موضعها التأخير، لمعرفتهم بسبق المعنى وأهميته، وعلوه في تصورهم إلا بتقدم دليله، وتأخر دليل نقيضه، لأن اللواحق معرضة للحذف .

أما دلالة الاسم فإنها تُثبت المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء، في الوقت الذي يقتضي الفعل تجدد المعنى المثبت شيئاً فشيء. فالاسم أقوى في الدلالة من الفعل لأنه يفيد ثبوت الصفة في صاحبها بينما يدل الفعل على التجدد والحدوث ومقيد بالزمن (الماضي، المضارع، الأمر) والاسم خلاف ذلك، وعليه فالاسم أعم وأشمل في الدلالة من الفعل.²

نعود إلى الأسماء المشتقة ولا يسعنا المقام لذكر دلالة المشتقات جميعها، لذا نكتفي ببعض الأمثلة:³

- دلالة اسم الفاعل: يدل على الحدث الذي يتحقق من معنى المصدر ولا يدل على الثبوت بدرجة ثبوت الصفة المشبهة ولا يدل على الحدوث والتجدد بدرجة الفعل، ويميزه عن غيره من المشتقات دلالاته على من قام بالفعل على وجه الحدوث. فالوصف بالصفة المشبهة لدلالة على الثبوت مثل: حذر، والوصف باسم الفاعل يدل على التجدد مثل حاذر.

- دلالة اسم المفعول: ما دل على الحدث أو الحدوث أو ذات، ويدل على الزمن مثل: أدركناه مقتولا، الحال مثل: أقبل مسرورا، ويدل على الاستقبال يوم مشهود.

- دلالة الصفة المشبهة: وهي وصف دل على معنى وذات، وجميع المشتقات تقع وصفا وتخالف الصفة المشبهة المشتقات في البناء والمعنى، فهي أقوى في الوصف وتصاغ

¹ ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 224 - 225.

² ينظر: محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء الدلالة، مرجع سابق، ص 64 - 65.

³ ينظر: المرجع نفسه التحليل اللغوي، ص 17 فما بعدها

من فعل لازم وتكون للحال، وهي تدل على الثبوت والاستمرار والحال من بين أوزانها:
فعل (فطن) أفعال (أحمر)، فعيل (كريم).
وعليه فإن لكل صيغة صرفية دلالتها التي تحيل عليها.

المحاضرة الثامنة:

الدلالة التركيبية والدلالة السياقية

1 -الدلالة التركيبية: ترتبط بتغير مواقع الكلمات في الجملة، فتغير الوظيفة النحوية يتبعه تغير في المعنى.¹ فهي تشكل نوعاً من العلاقات أو النسب بين الوظائف فيما بينها كالفعل والفاعل والمفعول وغيرها، فالدلالة النحوية تتعلق بأبنية التراكيب والجمل، وائتلاف الكلمات فيما بينها. كما ترتبط الدلالة التركيبية أيضاً "بمفهوم الفائدة، ولا تتحقق الفائدة إلا بائتلاف الكلام وضم بعضه إلى بعض على وجه من الوجوه النحوية المألوفة."²

ويتناول البحث اللغوي في هذا المستوى دراسة نظام بناء الجملة، ودور كل جزء في هذا البناء، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض، وأثر كل جزء في الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية. لما لها من أهمية في الإبانة عن المعاني، كما بين ذلك ابن جني في تعريفه للإعراب بأنه: "الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه وشكر سعيداً أبوه، علمت بنصب أحدهما ورفع الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستبهم أحدهما عن صاحبه."³

ليس هذا فحسب بل يعتبر ابن جني رائداً في دراسة علاقة النحو بالمعنى فأطلق على معنى التركيب اسم "الدلالة المعنوية" ويقصد بها المعنى الذي يتحقق من تراكيب الكلام؛ وذلك من خلال العلاقات التي يقيمها نظام الإعراب، وهي علاقات معنوية تنشأ في التركيب، لذلك يؤكد بأن وظيفة الألفاظ في التركيب تتبين من ناحية المعنى في قوله (فقد علمت أن دلالة المثال على الفاعل من جهة معناه) وليست من ناحية اللفظ.⁴

¹ محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 182.

² محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط2، 2007، ص 315.

³ ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ج 1، ص 35.

⁴ محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء الدلالة، مرجع سابق، ص 129.

ولقد أسس عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم على اعتبار أهمية العلاقات التركيبية في تحديد المعنى فعرف النظم بقوله: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"¹ فالفضل في معرفة صحة المعنى من فساده يعود إلى معرفة معاني النحو وأحكامه، ويتبين من ذلك أهمية النحو في تحديد المعنى، فالغاية من دراسة النحو هي فهم تحليل بناء الجملة تحليلاً لغوياً يكشف عن أجزائها، ويوضح عناصر تركيبها، وترابط هذه العناصر ببعضها الآخر، لتؤدي معنى مفيداً وبيّن علائق هذا البناء، ووسائل الربط بينه لذا نجده قد اهتم بقضايا الفصل والوصل والتقديم والتأخير والحذف وما يدخل في باب علم المعاني.

و"من الحقائق المقررة في الدرس الحديث أن النحو- بما هو درس للتركيب أو الجملة - إنما يدرس (المعاني النحوية) وليس المعاني المعجمية؛ أي أنه يدرس معاني الأشكال ذاتها، أو المعاني التي تؤدي إليها (البنية اللغوية) والعلاقات التي تمثلها العناصر التي تتركب معا في كلام."² فلولا التركيب النحوي ما نشأ المعنى الدلالي للجملة، لأن الجملة المقبولة دلالياً لا بد أن تتضمن علاقات تلاؤمية صحيحة لا تتحقق إلا بطريق التركيب النحوي.

وقياساً على ما رأيناه من دلالة الاسم والفعل؛ فإن دلالة الجملة الفعلية تفيد التجدد وعدم الثبوت بينما تفيد الجملة الاسمية ثبوت المعنى أو الصفة للشيء من غير تجدد كما أن الفعل موضوعه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء، أما الاسمية فهي التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً ثابتاً غير متجدد. وقد تدخل على الجملة الاسمية من النواسخ ما يغيّر الحركة الإعرابية لأحد ركنيها أو لكليهما دون أن يمس بعلاقة الإسناد من حيث الجوهر، إلا أن يضيف لها معنى جديداً؛ كالتأكيد، أو الصيرورة، أو غيرها من المعاني التي تحملها النواسخ.

¹ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار الجيل، لبنان، ط1، 2004، ص97.

² عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة للطباعة والنشر، لبنان، ص 129

تعرض الجملة بصفة عامة إلى تغيير في ترتيب عناصرها وهذا التغيير يضحبه تغييرا في الأغراض التي تعبر عنها اللغة، فالتقديم والتأخير إنما هو لتحقيق بعض المعاني المقصودة والتي هي عبارة عن طاقات تعبيرية تلحق المعاني الظاهرة، فتزيدها تأكيدا وقوة، رأى سيوييه أن التقديم والتأخير يكون لغرض بلاغي، فتقديم ما الأصل فيه التأخير إنما يكون للعناية به، والاهتمام بشأنه، أما عبد القاهر الجرجاني فلا يحصر غرضه في الاكتفاء بذكر "أقدم للعناية من دون النظر من أين كانت تلك العناية؟ ولم كان التقديم أهم؟ والأمر لا يتعلق فقط بالتقديم والتأخير بل بكل أبواب البلاغة من الإظهار والإضمار، والفصل والوصل والحذف وغيرها.¹ لأن معرفة دلالة الجملة يتوقف على معرفتنا بقواعد التركيب التي مردها إلى النحو.

وينبه عبد القاهر الجرجاني لأهمية الحذف في الجملة في قوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنه ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين."² ومقاصد المتكلم هي التي تدفعه إلى الاختصار والحذف رغبة منه في إيصال رسالته على الوجه الذي يريد تحقيق غرضه من الكلام، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ناقة الله وسقياها﴾ سورة الشمس الآية 13. حُذِفَ الفعل على التحذير، والتقدير: احذروا ناقة الله فلا تقربوها؛ وذلك للتبنيه على أن الزمان لا يُسَعَفُ بالإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم.

وكذلك ما وصفه علماء البلاغة من أسس وأصول، تساعد في توليد العديد من الجمل ذات دلالات مختلفة ومتفاضلة فيما بينها على حسب الحاجة إليها سواء في علم البيان أو البديع أو المعاني، فالطباق، والتقسيم التي هي من علوم البديع تؤدي إلى معان جديدة في التراكيب التي تستخدم فيها، وكذلك الاستعارة والتشبيه والكناية وتنوع الخبر على حسب

¹ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 111.

² المرجع نفسه، ص 131.

المخاطب، وألفاظ الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، كلها قواعد وضوابط تعين على إخراج معان جديدة من التراكيب اللغوية.

دلالة الحرف:

الحروف من حيث دلالتها قسمين: حروف مباني؛ وهي التي تبنى منها الكلمة وحروف معاني هي التي تفيد معنى كسين الاستقبال وحروف الجر.. وغيرها. وسميت حروف المعاني لأنها توصل معاني الفعل إلى الاسم مثل، حرف الباء، مررت بالمنزل تفيد الإلصاق، ذهبت به إلى السوق تفيد المصاحبة، وكتبت بالقلم، تعني الاستعانة... فالحروف روابط تعمل على اتساق النص ولا يحدد معناها إلا ضمن التركيب.

2 - الدلالة السياقية:

"هي تلك الدلالة التي يقصدها المتكلم ويفهمها السامع من خلال الحدث الكلامي تبعا للظروف المحيطة.¹ فهي دلالة يعينها السياق اللغوي، وهو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة، أو الجملة، وتستمد أيضا من السياق الاجتماعي، وسيق الموقف، وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره، من متكلم ومستمع، وغير ذلك من الظروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام.

وللسياق دور عظيم في بيان المعنى المراد؛ فمن خلاله "تتجاوز اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة، قد تكون مجازية، أو إضافية، أو نفسية، أو إيحائية، أو اجتماعية، أو غير ذلك"² فلا تتحد دلالة الكلمة في التركيب على الوجه الذي أراده المتكلم إلا من خلال معرفة السياق، حيث ترتبط الكلمة بغيرها من الكلمات مما يمنح كلا منها قيمة دلالية جديدة. ويقسم السياق إلى أربعة أقسام: السياق اللغوي والسياق العاطفي وسيق الموقف والسياق الثقافي.³

¹ أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، مرجع سابق، ص 100.

² هادي نهر: مرجع سابق، ص 236.

³ أحمد عمر مختار: علم الدلالة، مرجع سابق، ص 69

2-1- السياق اللغوي:

وهو المحيط اللغوي الذي تقع فيه الكلمة موضع التحليل؛ وفيه تراعى القيمة الدلالية المستوحاة من عناصر لغوية، فالكلمة يتحدد معناها من خلال علاقتها مع الكلمات الأخرى.¹ ويتعلق هذا بالكلمات التي تحتمل دلالتها أكثر من معنى؛ ذلك أننا لا نحتاج إلى الاستعانة بالسياق في الكلمات التي لا تحمل سوى معناها المعجمي المعروف، وهذا ما يعني اللغة بالمشارك اللفظي، ويمكن التمثيل لذلك بلفظ "الخط" من خلال الجمل الآتية:

تحسّن خط التلميذ لكثرة اجتهاده. وتعنى الكتابة

سافرت على متن الخطوط الجزائرية للطيران. وهنا يقصد الطائرة

طلب المعلم من التلميذ رسم خط منكسر. مقصود به المعنى الرياضي للخط

خط الهاتف في البيت مقطوع على الدوام. والمقصود تعطل الهاتف

الثوابت الوطنية خط أحمر. وهذا دلالة على عدم تجاوزها

وهنا توجه الكلمات المجاورة في كل سياق لفظ الخط إلى إحدى دلالاته المعجمية،

ولا شيء غير الجوار اللغوي يمكن أن يحدد الدلالة في هذه النصوص ومثيلاتها.

2-2- سياق الموقف:

نعني به " الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة. مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس: (يرحمك الله) (البدء بالفعل)، وفي مقام الترحم بعد الموت (الله يرحمه) (البدء بالاسم). فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة. وقد دل على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير.² ومن أمثلة ذلك: عبارة " رَبِّي يَسْهَلُ " تقولها قاصدا الدعاء بالتيسير، وتقولها لمتسوّل ألحّ في السؤال وتكون ضمنيتها معنى: " دعني " ولكن بلطف.

¹ محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 197.

² أحمد عمر مختار: علم الدلالة، ص 71.

وعبارة " ربي يهديك " نقولها لمن تحب له الخير قاصدا طلب الهداية. ونقولها لمن قال:
فحشا من الكلام وقصدك التوبيخ والتقريع.

3- السياق العاطفي:

هو انتقاء المتحدث لبعض الألفاظ دون غيرها مما قد تصلح مرادفا لها أو قريبة من معناها، لدلالة عن درجة الانفعال العاطفي التي يريد التعبير عنها، مثال ذلك: لفظة "أحب"؛ فهي من حيث دلالتها تختلف عن لفظة "أود" أو "أهوى"، وكذلك الدلالة في "أكره" غيرها في "أبغض" وهي في "أمقت" غيرها في أختيها السابقتين، وكل اختيار يعكس مستوى من الانفعال العاطفي. ويبين أحمد عمر مختار أهمية السياق العاطفي في تحديد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي التأكيد أو المبالغة أو الاعتدال.¹

2-4- السياق الثقافي:

يقتضي السياق الثقافي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.² وهو مرتبط بثقافة مستعمل اللغة؛ كالمهنة، والطبقة الاجتماعية ودرجة التحضر أو البداوة، وغير ذلك مما يسم المتكلم بخصوصية ذات أثر على الاختيارات اللغوية المتاحة، ومثال ذلك لفظ " الجذر " نسمعها من أستاذ الرياضيات أو أستاذ اللغة أو نسمعها من عالم النبات، وفي كل مرة تأخذ معنى مختلف عن غيره.

خلاصة القول فيما قدم بشأن كل من الدلالة الصوتية والصرفية والتركيبة والسياقية أنها قد تأسست في حقيقتها بجهود علماء العرب الأوائل لأن وعيهم بأهمية الدلالة كان مرتبطا بفهم النص القرآني، لذلك نجدهم قد اهتموا بكل أنواع الدلالة من دون استثناء.

أما جهود المحدثون فهي استكمال للطريق الذي بدأه السابقون مع إضافة محتشمة من اللسانيات الغربية فيما تعلق (بالنبر والتنغيم) وقد كانا محلا خلاف في أهميتهما في تحديد المعنى كما سبق شرحه.

¹ المرجع نفسه، ص 70.

² المرجع نفسه، ص 71.

المحاضرة التاسعة: نظريات دراسة المعنى

النظرية الإشارية والتصورية

1 - مفهوم النظرية التصورية:

تُعد النظرية التصورية من أقدم النظريات التي حاولت بيان ماهية المعنى ترى أن طبيعة المعنى متمثلة في الصورة الذهنية التي تستدعيها الكلمة عند السامع أو التي يفكر فيها المتكلم. ويتزعم هذه النظرية أو نظرية الأفكار الذهنية الفيلسوف الإنجليزي جون لوك John Locke (1689).¹ والذي رأى أن المعاني لها وجود مستقل في الذهن في شكل صور ذهنية ناتجة عن تشكيل حواسنا لها، وهذه الصور قد تكون بسيطة كفكرة اللون الأصفر أو الأزرق وقد تكون معقدة مركبة من صور بسيطة فمثلا فكرة كرة الثلج مركبة من أبيض، بارد، وكرة، والكلمات في الأصل لا تمثل شيئا بل الذي يعطيها معنى هي الأفكار التي في ذهن مستعملها. وتعتبر هذه النظرية اللغة وسيلة وأداة لتوصيل الأفكار، وتمثيلاً خارجياً ومعنوياً لحالة ذهنية، وتقتضي النظرية التصورية بأن لكل فكرة معنى، وهذه الفكرة يجب أن تكون حاضرة في ذهن السامع بنفس المعنى الذي قصده المتكلم؛ فالتعبير يجب أن يستدعي الفكرة نفسها في عقل السامع، وعليه فالنظرية توجب اشتراك المتكلم والسامع في الأفكار والتصورات حتى يتحدد المعنى.²

لكن هذا الأمر متعذر لأن الصورة الذهنية للتمثلات الخارجية تختلف في أذهان الناس، ويصعب أن تتحد الصورة الذهنية حول شيء ما ذاتها عند المتكلم والسامع، وهذا ما كان سببا في نقد قصورها في فهم المعنى.

¹ جون لوك 1632 - 1704 وهو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي. التحق بكلية كنيسة المسيح في جامعة

أوكسفورد، درس الطب ومارس التجريب العلمي، حتى عرف باسم (دكتور لوك).

² أحمد عمر مختار: علم الدلالية، مرجع سابق، ص 57.

2 - نقد النظرية:

1- المعنى الذي تقدمه النظرية غير واضح لأن الصور الذهنية للشيء الواحد متعددة ومختلفة.

2- هناك تعبيرات مختلفة قد يكون لها صورة ذهنية واحدة.

3- هناك ألفاظ لها صور ذهنية مبهمه وغير واضحة المعالم ويختلف الناس فيها اختلافا كبيرا، خاصة تلك التي تسمى أشياء الوهمية أو الغيبية كالغول أو الجن، وكذلك التي لها معان عقلية كالظن والشك والحب والصدق.

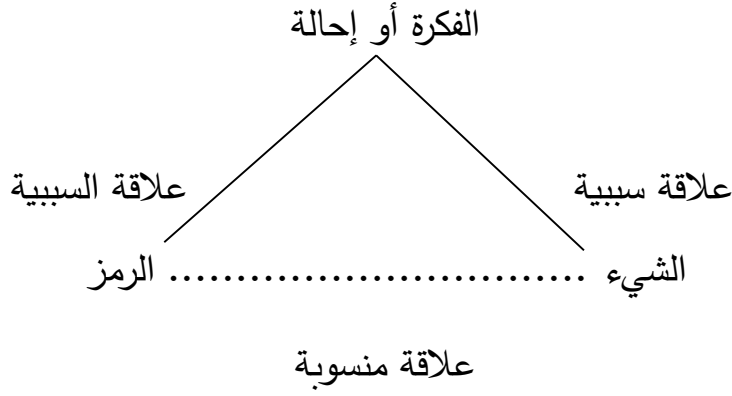
4- من أقوى الاعتراضات على هذه النظرية ما وجهه إليها السلوكيون من أنها تتحدث عن أشياء لا تخضع للنظر العلمي والفحص والاختبار كالفكرة والصورة الذهنية.

3 - مفهوم النظرية الإشارية:

إذا كان المعنى في النظرية التصويرية هو تصور ذهني لما هو في العالم الخارجي فإن النظرية الإشارية تُحدد المعنى فيما يشير إليه في العالم الخارجي. وتعود هذه النظرية للعالمين أوغدن وريتشاردز¹ Richards وOgden، حيث قدما شرحا عنها في كتابهما "معنى المعنى". عالجا في هذا الكتاب إشكالية المعنى بعرض الكثير من الآراء ونقدها، ليقدموا البديل فيما اعتقده أنه جزء من حل لهذا الإشكال، فكانت أكبر مساهمة لهما؛ ما اشتهرا به، وهو فكرة المثلث الذي تضمن عناصر العلامة الرمزية وطبيعة العلاقة بينها مجسدا في الشكل الآتي:²

¹ إيفور آرمسترونغ ريتشاردز: (1893-1979م) ناقد أدبي وعالم بلاغة تلقى تعليمه في جامعة كامبردج. أثرت كتبه في توجهات النقد الجديد ككتاب "معنى المعنى" و"مبادئ النقد الأدبي" و"النقد العملي" و"فلسفة البلاغة"، ويعتبر أحد مؤسسي دراسات الأدب الإنجليزي المعاصرة. تشايلز كاي أوغدن (1889-1957) عالم لغة، وفيلسوف إنجليزي بدأ في دراسة التواصل العالمي وأثر اللغة في الفكر، بجامعة كامبردج عام 1909، وفي تلك الأثناء أسس مجلة كامبردج الأسبوعية (1912-1922)، من أهم مؤلفاته "معنى المعنى"، و"أسس علم الجمال".

² أوغدن وريتشاردز: معنى المعنى، مرجع سابق، ص 71.



يُمثل المثلث ثلاثة عوامل أساسية تتضمنها أية علاقة رمزية: العامل الأول وهو الرمز؛ ويمثل الكلمة المنطوقة، والعامل الثاني: المحتوى العقلي الذي يستحضره الذهن حين يسمع الكلمة وهو الفكرة أو المرجع، والعامل الثالث: هو الشيء نفسه الذي ارتبط ذهنياً بشيء آخر.¹ "العلاقات بين الفكرة والرمز تكون سببية. فالرمز الذي نستعمله حين نتكلم تسببه جزئياً الإحالة التي تنشأها، وجزئياً العوامل الاجتماعية والنفسية، والغرض الذي من أجله ننشئ الرمز، والأثر المفترض أحدهما: أداء فعلي إحصالي والآخر اتخاذ موقف يكون استناداً إلى الظروف مشابهة تقريباً لفعل المتكلم وموقف."² وثمة علاقة أيضاً بين الفكرة والمرجع وهي مباشرة تقريباً كما في حالة تفكيرنا في (قلم).

والنقطة الجوهرية في الرسم البياني هي: أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الكلمات والأشياء كما هي في الواقع (المرجع)، لذلك مثلت العلاقة بالنقط للدلالة على علاقة منسوبة أي مفترضة وليست طبيعية، إذ لا يوجد طريق مباشر بين الكلمات وما تدل عليه، وإنما تبدأ عن طريق المحتوى العقلي الذي تستدعيه الكلمة والذي يرتبط بالشيء.³

فالرمز والذي يمثل الدال لا تربطه علاقة مباشرة مع الشيء كما هو في العالم الخارجي لأنهما ينتميان إلى نظامين مختلفين، أما علاقة الرمز (الدال) بالفكرة وهي المدلول فهي علاقة مباشرة لوجود العلاقة بينهما، وهذا ما استقادت منه الدراسات اللغوية كما وضح ذلك ستيفن

¹ ستيفن أولمان، مرجع سابق، ص 63.

² المرجع نفسه، ص 69.

³ المرجع نفسه، ص 64.

أولمان بأن دراسة اللغة تهتم بالكلمات لا بالأشياء، أما علاقة الشيء (الرمز) كما هو في الواقع بالفكرة الموجودة حوله في أذهاننا؛ فهي من اختصاص علم النفس أو الفيلسوف، لأن اللغوي غير مطلوب منه أن يخوض في هذا الجدل، بل كل ما يهمه هو العلاقة التي تربط الرمز بالفكرة.¹ أي (الدال والمدلول).

4-نقد النظرية الإشارية:

جمع أحمد عمر مختار النقد الموجه لهذه النظرية في العناصر الآتية:²

- إنها تدرس اللغة خارج إطارها اللغوي.

-تربط دراسة المعنى بمعرفة الشيء (المشار إليه) في العالم الخارجي، وهذا ما يزيد من صعوبة تحديد المعنى، لأن المعرفة الإنسانية نسبية ومحدودة.

- هناك كلمات ليس لها مشار إليه في الخارج، كبعض الأدوات نحو: إن، لبت، لعل، لكن ... إلخ. كلمات لها دلالات معنوية أو عقلية، نحو: الصدق، الصبر، أشياء وهمية خرافية: غول، أشياء غيبية: جن، ملائكة.

-إن معنى الشيء غير ذاته في العالم الخارجي، فمعنى التفاحة ليس هو ذاتها لأنها تؤكل والمعنى لا يؤكل.

- لو كان المعنى هو المشار إليه لكانت الألفاظ المختلفة التي تشير إلى لفظ واحد مترادفة في معانيها ولكن الأمر خلاف ذلك فعين الماء تختلف عين الجاسوس. ومن أقوى الاعتراضات على هذه النظرية ما وجهه إليها السلوكيون من أنها تتحدث عن أشياء لا تخضع للنظر العلمي والفحص والاختبار كالفكرة والصورة الذهنية.³

خلاصة القول، إن النظريتين هما من أقدم النظريات التي حاولت تفسير المعنى، وإذا كانت النظرية التصويرية قد حددت المعنى في الصورة الذهني لما هو موجود في عالمنا

¹ المرجع السابق: ص 64.

² أحمد عمر مختار: علم الدلالة، ص 56.

³ محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004،

الخارجي، فإن تفسيرها هذا لم يحل مشكلة المعنى بل حنطها في عالم يصعب دراسته وهو العقل خاصة في زمن صاحب النظرية، لذا لم تُسهم في دفع عجلة البحث اللساني، سوى أنها كانت دافعا لظهور النظرية الإشارية.

وهي وإن كانت أيضا شبيهة بالنظرية التصويرية غير أنها استبدلت حدود المعنى فبدل من أن يكون صورا ذهنية جعلته في الطرف الآخر وهو ما تشير إليه الأفكار (الصور الذهنية) في العالم الخارجي، غير أن ما يحسب لهذه النظرية أن أثرها كان واضحا من خلال ما قدمه المثلث الشهير الذي عرف باسم أصحاب النظرية، لأنه حدد عناصر العلامة الرمزية (اللغوية)، وبالتالي فتح الآفاق للتفكير في موضوع المعنى انطلاقا من فكرة النظر في طبيعة العلاقة بين هذه العناصر.

وهذا ما أسهم في إثراء النقاش حول موضوع الدلالة والمعنى إلى أن جاءت أفكار دي سوسير حول طبيعة العلامة اللغوية (المدلول والمدلول) فكانت نقطة انعطاف في مسار البحث اللساني نحو ما اعتقده بأنها العلمية في دراسة اللسانيات كعلم مثل باقي العلوم، جعلته يقصي المعنى من الدراسة العلمية حتى تحقق اللسانيات استقلالها كعلم، وهذا ما مهد لظهور النظرية السلوكية حيث اختصر المعنى في المثير والاستجابة.

المحاضرة العاشرة

نظريات دراسة المعنى - النظرية السلوكية

بدأت النظريات السلوكية بالثورة على علم النفس التقليدي وذلك برفضها لمنهج الاستبطان في البحث، معتمدة على المنهج التجريبي المخبري. ويعتبر إبان بافلوف رائد المدرسة السلوكية التقليدية ومؤسسها في روسيا، وواطسون مؤسس السلوكية التعليمية في أمريكا، وينظر علماء النفس السلوكيين إلى اللغة كشكل من أشكال السلوك ويفسرونها في إطار تكوين العادات المعتمد على مثير واستجابة، يرسخها التعزيز الإيجابي.

تُعنى النظرية السلوكية ببواعث إنتاج اللغة التي تريد أن تضبطها وفقا لقانون العلوم المادية الذي يرى أن جميع الأفعال هي استجابات لمنبهات ما؛ ولذلك فإن النظرية ترى أن الإنسان لا ينتج اللغة إلا تحت تأثير منبه ما إذا لم يكن خارجيا فهو داخلي، مُبعده بذلك كل حديث عن الذهن أو العقل، أو الفعل الإرادي، وترى في اللغة سلوكا يتعلم عمليا، أي أنها تكتسب من خلال النماذج السلوكية، وليس التواصل اللغوي عند السلوكيين إلا استجابات لمؤثرات ما.

لقد استفاد ليونارد بلومفيلد من هذه النظريات بنقل أفكارها ومبادئها إلى مجال اللغة بما أن هذه الأخيرة هي سلوك أيضا، سينطبق عليها ما ينطبق على السلوك بشكل عام، لذا اعتقد بأن المعنى يتكون من ملامح الإثارة وردة الفعل القابلة للملاحظة والموجودة في الكلام، وعلى هذا عرّف معنى الصيغة بأنها الموقف الذي يجمع بين ما ينطقه المتكلم وما يحصل من استجابة لدى السامع.¹

وعليه فقد تأسست النظرية السلوكية على مفهوم المثير والاستجابة؛ فالمثير هو الأحداث التي تسبق عملية الكلام وتكون سببا في التكلم، أما الاستجابة فهي الأحداث التي تلي الكلام، وهكذا يتكون الموقف الكلامي؛ يوضح بلومفيلد ذلك بمثاله المشهور جاك وجيل اللذان كانا

¹ أحمد عمر مختار: علم الدلالة، مرجع سابق، ص 61.

يتجولان، فرأت جيل التفاحة على الشجرة وهي(المثير) فأحدثت أصواتا بحنجرتها ولسانها وشفيتها وهو(الكلام)، فيحضر جاك التفاحة ويناولها إياها (الاستجابة).

لقد حاول بلومفيلد أن يفسر الأفكار والمشاعر على أنها مصطلحات خاصة بالحركات الجسمية، أو الأحداث التي يعلمها المتكلم وحده أو الحركات غير الصوتية، فضلا عما تضمنه الموقف من علاقات بين جاك وجيل، فإنه كان بالإمكان ألا تتصرف جيل بتلك الطريقة وربما كانت ردة فعل جاك عدائية فلا يحضر لها التفاحة.¹

وهذا يعني أن الكلام يعتمد على عوامل مهيئة تتعلق بحياة وتاريخ المتكلم والسماع فحتى يتسنى لهذه النظرية تفسير معنى الكلام لابد من وجود ملامح مشتركة وخاصة بكل المواقف التي يُنطق فيها حدث معين بمعنى معين، وهذا غير ممكن على أرض الواقع.

2- مبادئ النظرية السلوكية:

تعتمد النظرية السلوكية على جملة من المبادئ لا تحيد عنها، وكل من اتبعها سيلتزم بها كما حدث مع اللغويين نذكرها فيما يأتي:²

1 - استبعاد الجوانب الذهنية مثل العقل، والتصور والفكرة، ودحض كل تحليل يعوّل على الاستبطان، وإبراز ما يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة بالاعتماد على السلوك الظاهري دون سواه. وعند تطبيق هذا المنهج على الظاهرة اللغوية ينصب التحليل على الأشكال اللغوية الظاهرة، والمواقف المباشرة التي أدت إلى إنتاجها في الواقع اللغوي.

2- استبعاد دور الدوافع والقدرات الفطرية في الظواهر السلوكية، وإعطاء أهمية قصوى لعملية التعلّم في اكتساب النماذج السلوكية؛ وذلك باعتبار اللغة سلوكا، وعليه فلا يوجد فرق عند السلوكيين بين تعلم اللغة وتعلم شيء آخر.

3 - رؤيتها أن كل ما في العالم تحكمه قوانين الطبيعة.

¹ ينظر: بالمر: علم الدلالة إطار جديد، مرجع سابق، ص 81 وما بعدها.

² أحمد عمر مختار: علم الدلالة، مرجع سابق، ص 59 - 60.

4 -اعتقادها أنه يُمكن وصف السلوك على أنه نوع من الاستجابات لمثيرات تقدمها البيئة.

3-نقد النظرية السلوكية:

النقد الذي وجه إلى هذه النظرية هو أنّ اللغة لا يمكن أن تكون كلها نفعية بالشكل الذي مثل به أصحاب النظرية من خلال تجربة جيل الجائعة وذاك المستجيب لطلبها؛ إذ إنّ كثيرا من مظاهر اللغة غير نفعي، ولا تواصلية أصلا كحديث الإنسان إلى نفسه أو تغنيه وإنشاده، أو ما يمكن أن يدخل تحت الوظائف غير الإبلاغية للغة.

فضلا عن ذلك فإنّ اللغة إنّما تفهم في السياق الذي ترد فيه ممّا يعني أنّ نقل الملفوظ من سياق إلى آخر كثيرا ما يعرضه لفقدان دلالاته أو تغييرها.

انتقد تشومسكي مسألة المثير والاستجابة وعملية التعزيز لأنها غير واضحة بصورة علمية وافية، ذلك أن المثير لا يلاحظ إلا عند حدوث الاستجابة، وبالتالي فالصعوبة التي لا يمكن تجاهلها هي عدم القدرة على تحديد المثيرات التي كانت سببا في الاستجابة إلا من خلال الاستجابة في حد ذاتها، في الوقت الذي تُحدد النظرية الاستجابة على أساس المثير، وبالتالي لا توجد إمكانية للتنبؤ وليس هناك تفسير علمي لطبيعة المثير.¹

ولئن كان هذا ممكنا في عالم الحيوان الذي انبثقت منه هذه النظرية فإنه غير ممكن في عالم البشر المختلف الطباع والتفكير والمرجعية الثقافية، بل إننا كثيرا ما ننصدم بردة فعل الآخر أو بلومفيلد باستجابة غير متوقعة رغم أنه لا يبدو لنا أن هناك مثير يستحق هذه الاستجابة.

خلاصة القول في النظرية السلوكية أنها طوقت المعنى في حدود المثير والاستجابة، متأثرة طبعاً بعلم النفس السلوكي الذي انطلق من تجاربه على عالم الحيوان، ولئن كان هذا ممكنا بالنسبة له، فإن عالم الإنسان يختلف تماما عنه، لأن الله كرمه بنعمة العقل والشعور والكلام.

¹ بالمر: علم الدلالة إطار جديد، مرجع سابق، ص 85

وعليه فإن هذه النظرية لم يستفد منها علم الدلالة بقدر ما استفادت منها التعليمية لأنها ظلت ردحا من الزمن منهجا في التدريس، وهي لا تزال مبدأ أساسيا قام عليه عالم الإشهار.

المحاضرة الحادية عشرة:

نظريات دراسة المعنى - النظرية السياقية

1- مفهوم النظرية السياقية:

تعطي هذه النظرية أهمية بالغة لدور السياقات المختلفة في توجيه الدلالة وتحديد المعنى، والأساس الذي انبنت عليه هذه النظرية هو أن الكلمة تكتسب معناها من استعمالها لأن الوحدات اللغوية المجاورة لها تُسهم في تحديد معناها، إضافة إلى ذلك تُسهم الأوضاع المحيطة بالحدث الكلامي في تحديده أيضاً. وبذلك ينفي أصحاب هذه النظرية إمكانية الوصول إلى المعنى برؤية المشار إليه، أو وصفه، أو تعريفه.¹ مما سمح بالاهتمام بالعناصر اللغوية ذاتها لا بالعلاقات النفسية بين اللغة والذهن أو اللغة والعالم الخارجي.

لذا فإن أهم ما يميز هذه النظرية عدم خروجها عن بنية اللغة، والسياق الثقافي المحيط بها. وبهذا سلمت النظرية من النقد الموجه للنظرية الإشارية والتصورية والسلوكية، وقد استخدم السياق في النظرية بمفهوم واسع بحيث يشمل السياق الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، ولا يظهر المعنى المقصود للمتكلم إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ المستخدمة.

وبناء على ذلك فقد فرق فيرث² رائد النظرية السياقية بين خمس وظائف أساسية مكونة للمعنى: "الوظيفة الأصواتية، الصرفية، المعجمية، التركيبية، الدلالية. وتتحدد كل وظيفة من هذه الوظائف في إطار منهج يُعرف بمنهج الإبدال ولا يظهر معنى العنصر اللغوي على أي مستوى من المستويات الخمسة المذكورة إلا بتميزه السياقي من مقابلاته التي يمكن أن تقع موقعه في ذلك السياق، فإذا لم يكن ثمة بديل سياقي ممكن لذلك العنصر اللغوي فلن يكون له

¹ أحمد عمر مختار: علم الدلالة، مرجع سابق، ص 69 .

² جون روبرت فيرث: (1890-1960) John Rupert Firth: لغوي بريطاني وشخصية رئيسية في تطوير علم اللغة خلال خمسينيات القرن العشرين. كان أستاذاً للغة الإنجليزية ثم أصبح أستاذاً في اللسانيات العامة إلى أن تقاعد.

معنى.¹ لأن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي، ومعنى الكلمة يتغير وفقاً لتغير هذه السياقات.²

وقد اهتم فيرث بسياق الحال محاولاً إبراز أهميته في تحديد المعنى، فهو الوضع العام الذي يُؤدّى فيه الحدث الكلامي مكاناً وزماناً وظرفاً؛ حيث يوجّه هذا الوضع دلالة المنطوق إلى معنى قد لا يكون من دلالاته المعجمية أو التركيبية، وإنما هو أقرب إلى تواضع جديد يفرضه السياق، فسياق الموقف لا يقتصر على السياقات اللغوية بل يشمل السياق الثقافي وأقوال المتخاطبين وأفعالهم وكل ما يتصل بالقولة المستعملة، وتأثير الحدث اللغوي.³

وعلى هذا الأساس قُسم السياق إلى أربعة أقسام: السياق اللغوي والسياق العاطفي والسياق الثقافي وسياق الموقف.⁴ ومثال على سياق الموقف: عبارة "شكراً" تقولها ممتناً لمن أسدى إليك معروفاً على أصل التواضع والاستعمال. وتقولها لمتحدّثٍ أطنب في الكلام، وقد قصدت توقيفه بأدب. ويقولها متحدث إعلاناً منه على أنه فرغ من كلامه. فهي تأخذ دلالتها من سياقها وهو سياق متغير.

ويعتبر مفهوم سياق الموقف هو أهم إسهام لفيرث في نظريته اللغوية، لأنه استطاع التفريق بين الموقف والسياق، ذلك أن الموقف موضوع غير لغوي، فهو واحد في جميع اللغات لأنه لا يتشكل من موقف معجمي أو موقف قواعدي. أما السياق فهو يختلف باختلاف اللغات، ويوجد على حالتين: الأولى هي؛ المعنى السياقي للمفردة البنائية؛ وهو سلسلة المعاني السياقية الممكنة لتلك الوحدة المنظور إليها في تجريد كل نص. والحالة الثانية؛ هي معناها السياقي الحالي (الآني) وهو المعنى الفعلي في مثال معين في مكان معين في نص معين مع موقف

¹ محمد محمد يونس علي: مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، مرجع سابق، ص 28.

² أحمد عمر مختار: علم الدلالة، مرجع سابق، ص 69.

³ محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، مرجع سابق، ص 31.

⁴ أحمد عمر مختار: علم الدلالة، ص 66. يرجع إلى محاضرة الدلالة التركيبية والدلالة السياقية، فهي تتضمن

شرح لهذه الأنواع.

معين، ويتحدد المعنى السياقي الكامن من تراكم المعاني السياقية الآنية.¹ وبهذا تكون النظرية السياقية قد التزمت في دراستها للسياق بحدود بنية اللغة والسياق الثقافي المحيط بها، لأنها اهتمت بالعناصر اللغوية نفسها والعلاقات التي تنتظم فيها، مستغنية بذلك عن العلاقات النفسية والذهنية وهي خارجة عن بنية اللغة، كما رأيناها مع النظرية التصويرية والسلوكية.

2 - نقد النظرية:

قد يعجز السياق في تحديد معنى بعض الكلمات، ولا يفيد حينها معرفة معاني سياقاتها المختلفة. لقد بالغت هذه النظرية في اعتماد السياق بمفرده لتحديد المعنى، في الوقت الذي كان ينبغي أن تجعل مهمته ترجيحية في الوصول إلى الدلالات المقصودة.² ذلك أن المعنى المنبثق من السياق ليست صناعة خالصة منه، بل تعود بالدرجة الأولى إلى المعنى المعجمي، لأن المعنى السياقي لا يمكنه إقصاء الدلالات المرتبطة بالكلمة المفردة وإنما هو ترجيح لدلالة معينة مردها إلى السياق الذي وردت فيه.

3 - السياق في التراث العربي:

إذا كان اسم فيرث قد ارتبط بالنظرية السياقية، فإن العرب الأوائل (البلاغيون على وجه الخصوص) قد خلدوها في مقولتهم المشهورة "لكل مقام مقال" وقد علّق عليها تمام حسان بأن الفكرة سابقة لعصرها بألف سنة تقريبا، لأن الغرب لم يعرفوا أهمية السياق إلا في العصر الحديث "وفكرة المقام هذه هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبنى عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال ومن المعروف أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى

¹ محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، مرجع سابق، ص 121.

² أحمد عمر مختار: علم الدلالة، مرجع سابق، ص 74.

المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا معنى المقال أو المعنى الحرفي¹ وعليه فإن العلماء العرب على اختلاف اهتماماتهم كانوا على وعي كبير بأهمية السياق في بيان الدلالة.

فالمفسرون والأصوليون اشتروا في تفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام منه الوعي بأهمية ما يقتضيه المقام من خلال مراعاة أن تفسير القرآن يرتبط ببعضه ببعض، والسنة الشريفة مبيّنة لما جاء فيه، مع ضرور العلم بأسباب نزول الآيات، إضافة إلى المعرفة بالنظم الاجتماعية وأعراف الناس. وما هذه الشروط إلا مظهرا من مظاهر وعي الأوائل بأهمية الأخذ بالسياق لتحديد المعنى خاصة إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم .

وللغويين جهودا لا تنكر في أخذهم بالسياق وهم يبنون تصورهم حول نظام اللغة بدءا من الكتابات الأولى التي ضمها كتاب سيبويه حيث كان على وعي بأن أقسام الكلام تتأسس على ركنين أساسين الشكل والمعنى فكانت الأنواع التي توصل إليها: "مستقيم حسن، ومحال ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب".²

وما هذه الصفات (حسن وقبيح وكذب ومحال) إلا دليل على أن تقسيم الكلم كان على اعتبار المتلقي وما يتبادر إلى ذهنه عند سماعه الكلام، مثال ذلك: المحال الكذب (سوف أشرب ماء البحر أمس) فقد وقع من السامع بتكذيبه من جانب صحته الدلالية المرتبطة التي تنظر للحدث في إطار ملابسات وقوعه وظروفه التي تُسهّم في تحقيقه. إضافة إلى استحالة تحققه على اعتبار الصحة التركيبي.

فالمقصود بفكرة المقام ما تتضمنه من حال المتكلم والسامع والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر والعادات والتقاليد والتراث والمعتقدات والخرافات.³ فلولا هذا المقام وما يقتضيه العنصر الاجتماعي من قرائن حالية للالتبس على الناس تفسير الكثير مما يقع في حياتهم.

¹ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، ص 337.

² سيبويه: الكتاب، مرجع سابق، ج 1، ص 25.

³ المرجع السابق، ص 352.

لقد كان وعي اللغويين بأهمية السياق واضحا من خلال وعيهم بتكامل مستويات النظام اللغوي صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا، وتصنيفهم لأنواع الدلالات على المستويات اللغوية كافة، فلكل مستوى لغوي أثر واضح في الدلالة، ففرقوا بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ولم يعتبروا النحو مجرد نظام، وإنما هو نظام تمكنوا في ضوءه من تصنيف المعاني النحوية. وقد يكون جهد البلاغيين أكثر وضوحا في تأكيد سبق العرب في الإحاطة بموضوع السياق وأهميته في تحديد الدلالة من خلال العبارة المشهورة التي سبق ذكرها (لكل مقام مقال) والتي جسدها بالفعل نظرية النظم عند الجرجاني فمن بين " الأسس التي بنى عليها عبد القهار الجرجاني منهجه في دراسة المعنى ربطه الكلام بمقام الاستعمال ومراعاة مقتضى الحال وسياقه فكانت خلاصة نظرية النظم: المعنى المعجمي، ومعاني النحو وأحكامه والمعنى الدلالي، من خلال ما قدمه في دراسته عن دلالة الكلمة المفردة وتغيرها على مستوى التركيب أو العبارة.¹ فيما عالجه من قضايا المجاز اللغوي، مما لا يسعنا المقام هنا للتفصيل فيه وإنما هي إشارات خاطفة إلى الجهد العربي في موضوع السياق.

خلاصة القول في نظرية السياق أنها؛ نظرية حديثة بالمفهوم الغربي الذي اشترط في علمية اللسانيات إبعاد الجانب الدلالي والسياقي في دراسة اللغة لصعوبة وصفهما وتقنيتهما كما هو الشأن مع الجانب (الصوتي والصرفي والتركيبية)، إلى أن غيرت أفكار فيرث تصورهم لأنه استطاع أن يدرس المعنى انطلاقا من بنية اللغة وما يمكن أن تحيل عليه.

أما علماء العرب الذين انطلقت بداية حركتهم العلمية من النص القرآني سعيا إلى حفظ معناه ومبناه من أي تحريف؛ فقد أسهمت أعمالهم على اختلاف تخصصاتهم في دراسة المعنى كعنصر أساسي ومقصود، لذا جاءت أغلب أعمالهم وإن لم تتبلور في شكل نظريات واعية بأهمية المقام في تقصي المعنى وبناء دلالات الكلام حتى أصبح مقولة مخلدة تتوارثها الأجيال " لكل مقام مقال".

¹ هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في العربية، مرجع سابق، ص 282.

المحاضرة الثانية عشرة:

الحقول الدلالية في التراث العربي

لقد برمجت الحقول الدلالية في التراث قبل محاضرة الحقول الدلالية عن الغرب لأنهم أول من كتب في هذا الموضوع وإن لم يستخدموا المصطلح على وجه الحديث، لذلك كان عنوان المحاضرة هو " الحقول الدلالية في التراث العربي " ولم نقل نظرية الحقول الدلالية، ذلك أن علماء العرب وإن كانوا قد طبقوا نظرية الحقول الدلالية في أعمالهم فإنهم لم يستخدموا مصطلح الحقول الدلالية في إطار نظرية لتفسير الدلالة، لأنه حديث النشأة، وسنقف عنده في المحاضرة المقبلة، حيث نسلط الضوء على نظرية الحقول الدلالية عند علماء الغرب. ومع ذلك حري بنا قبل الخوض في استقصاء الحقول الدلالية في التراث أن نقف عند تعريف المصطلح لغة واصطلاحاً، ليتسنى لنا معرفة حقيقة وجوده في التراث وبأي شكل كان.

طبعاً مصطلح الحقول الدلالية ليس غريباً عنك عزيزي الطالب لأنه من المصطلحات التي تعرفت عليها في مرحلة التعليم الثانوي وكنت تستخرج الحقل الدلالي المطلوب منك من النص الأدبي، وعليه فنحن الآن نقدم لك معلومات نظرية لما كنت تمارسه تطبيقياً.

1- مفهوم الحقل الدلالي لغة واصطلاحاً:

أ.التعريف اللغوي:

ورد في مقاييس اللغة لابن فارس، الحقل:(حقل) الحاء والقاف، اللام أصل واحد وهو الأرض وما قاربه فالحقل الخراج الطيب ويقال (لا ينبت البقلة إلا الحقلة)¹. فالحقل عند ابن فارس الأرض التي تنبت الزرع. وفي المعجم الوسيط؛ الحقل: الأرض الفضاء الطيبة يزرع فيها، وحقل البترول: المكان الذي يستنبط منه، وحقل التجارب: المكان الذي تجرى فيه.² نستخلص من التعريفين أن الحقل هو مكان أو حيز يحدد أو يخصص لشيء أو لعمل ما،

¹أبو الحسين أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص 87-88.

² مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 188.

فحقل التفاح خاص بفاكهة التفاح وحدد لنا حدودها. وهذا هو المعنى الذي سيظهر في التعريف الاصطلاحي، لأن الحقل الدلالي هو أيضا حيز يجمع الألفاظ لوجود رابط بينها.

ب. التعريف الاصطلاحي:

نكتفي بتعريف أحمد عمر مختار-لأننا سنعود إليه في المحاضرة المقبلة-فالحقل الدلالي: هو "مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها مثل كلمة الألوان باللغة العربية التي تقع تحت مصطلح لون وتظم ألفاظ مثل: أحمر، أبيض، أخضر، أزرق...إلخ."¹

فهو لفظ عام يجمع مجموعة من الألفاظ في حقل واحد لوجود رابط دلالي مشترك بينها، لذا فهو يختلف عن الحقل المعجمي الذي يهتم فقط بتحديد معاني الألفاظ وفقا لما تواضع الناس عليه، غير مهتم بالرابط الذي يجمعها ولا بطبيعة العلاقة بينها باستثناء معاجم المعاني وإن كانت هي أيضا لم تدرس طبيعة العلاقة الجامعة بين ألفاظ الحقل الواحد ولا طورت البحث بشأنها، لانحصار فكر أصحابها أنه مجرد معجم.

2-تطبيقات الحقول الدلالية في التراث العربي:

بعد التعريف بالحقول الدلالية كمصطلح نأتي الآن لنبحث عن مظاهر وجوده في التراث اللغوي العربي لا كمصطلح بعينه، وإنما كتطبيق لهذا المصطلح لأن وجه الشبه واضح بين ما قدمته معاجم المعاني وما جاءت به نظرية الحقول الدلالية.

وفي هذا السياق يقول عمر أحمد مختار: "يفت النظر-إلى حد كبير-الشبه الواضح بين معاجم الحقول الدلالية الحديثة ومعاجم الموضوعات القديمة (في اللغة العربية) فكلاهما يقسم الأشياء إلى موضوعات وكلاهما يعالج الكلمات تحت كل موضوع، وكلاهما قد سبق بنوع من التأليف الجزئي المتمثل في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد ودراستها تحت

¹ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مرجع سابق، ص: 79.

عنوان واحد¹ وعليه فإذا أردنا أن نعرف السبق العربي لتطبيق نظرية الحقول الدلالية، علينا تتبع إلى مسار نشأة معاجم الموضوعات.

ويقسم الباحث فوزي يوسف الهابط مسار معاجم الموضوعات إلى مراحل ثلاث:²

2-1- المرحلة الأولى:

الرسائل اللغوية: وفيها جمعت الألفاظ حيثما اتفق، ذلك أن العالم يقصد البادية ويدون ما سمعه من دون أن يهتم بترتيبه ويمثل هذه المرحلة كتب النوادر.³ التي بدأ التأليف فيها في القرن الثاني الهجري تزامنا مع نهوض الرواة لجمع اللغة، وأول من بدأ التأليف فيها هو أبو عمر بن العلاء التميمي البصري (154 هـ) وخير مثال لهذه المرحلة كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت 215 هـ) اشتمل على خمسة عشر بابا، ثلاثة منها خاصة بالشعر وسبعة خاصة بالرجز والخمسة الباقية خاصة بالنوادر .

2-2- المرحلة الثانية :

الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد: وهذا النوع من الرسائل هو الذي تكاثرت فيه الكتابة وازدهرت به حركة التدوين اللغوي، والتراث اللغوي العربي زاخر بهذا النوع من الرسائل التي تخصصت في موضوعات مختلفة، إذ كل موضوع يضم مجموعة من الألفاظ يجمعها رابط دلالي، يربط الكلمات بمعنى مشترك، كالخيل والإبل والطير والجراد والمطر والنخل والسلاح وخلق الإنسان والنبات والزرع والأنواء والأزمنة وغيرها.

وتشكل رسائل اللين والمطر لأبي زيد الأنصاري، والنبات والشجر وخلق الإنسان للأصمعي للأصمعي (216 هـ). والخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى أهم الأعمال التي طبعت

¹ المرجع السابق، ص 108.

² فوزي يوسف الهابط: المعاجم العربية موضوعات وألفاظا، دار الوراق للطبع والنشر، ط 1، 1993، ص 53 وما

بعدها.

³ النوادر ومفرداتها نادر أو نادرة وهي الأشياء التي يقل وجودها أو حدوثها، وكتب النوادر هي الكتب التي تحتوي على المُشكَل والوحشي والغرائب والشوارد من الكلام والشعر والحكايات وغيرها.

مرحلة تدوين اللغة، فكانت اللبنة الأولى لمعاجم العربية. بالإضافة إلى رسائل في الخيل والكرم والشتاء والإبل وأسماء الوحوش والشجر والنبات لأبي حنيفة الدينوري. فضلا عما كتبه أبو عبيدة القاسم (224هـ) عن الغنم والبهائم والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض واشتهر ابن السكيت (ت 244 هـ) في هذا اللون من التأليف. وألف ابن دريد (321 هـ) في السرج واللجام والمطر والسحاب والزجاج (ت 415هـ).¹ فهذه هي البداية الأولى التي تكاثرت فيها الأعمال بحيث لا يمكن أن نحصي جميعها.

وظهرت رسائل البلدان والمواضع كجبال العرب لخلف الأحمر. كما وجد بعض اللغويين حاجة المتأدبين إلى انتقاء ألفاظ معينة لمعان محددة تحديدا دقيقا، فكان من ذلك كتب متعددة مثل (جواهر الألفاظ لقدماء بن جعفر) و(سحر البلاغة وسر البراعة) لثعالبي وغير ذلك.²

2-3- المرحلة الثالثة:

الكتب ذات الموضوعات المتعددة: لأنها جمعت الموضوعات السالفة الذكر وقد سميت بكتب الصفات وكتب الغريب المصنف أيضا لأنها جعلت الغريب أصنافا كل صنف يعنى بموضوع واحد ثم جمعت كلها في كتاب.³

وقد توجت هذه المرحلة بمعجم "المخصص" لابن سيده (457هـ) الذي احتوى كتابه على عشرين كتابا هي: خلق الإنسان، الغرائز، النساء، اللباس، الطعام، السلاح، الخيل، الإبل، الغنم، الوحوش، السباع، الحشرات، الطير، الأنواء، النخل، المكنيات، المبنيات، الأضداد، الأفعال والمصادر، والمقصود والممدود، وغير من الأبواب. ظهر تأثر ابن سيده بالمنطق في الأبواب التي تضمنها معجمه وفي الكيفية التي عالج بها مواد اللغوي لأنه سار بترتيب الموضوعات من العام إلى الخاص.

¹ أحمد عزوز: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2002، ص 24.

² المرجع نفسه، ص 24.

³ فوزى يوسف الهابط: مرجع سابق، ص 62.

ففي كتاب خلق الإنسان؛¹ تناول كل ما يتعلق به من الحمل والولادة، وجميع تفاصيل الإنسان من الرأس وما حوى وما يمكن أن يصيب بعض أعضائه من داء وغيرها من الحقول بلغة علم الدلالة.

وما كثرة التأليف في المعاجم إلا دليل على مدى استيعاب العرب القدامى لطرق التعامل مع اللغة، من حيث تصنيفها وتبويبها، توجت بمعجم المخصص لابن سيده الذي تم تبويبه وفقا للحقول الدلالية.

خلاصة القول؛ لا يمكن أن ننكر أن العرب القدامى قد فطنوا إلى تصنيف الألفاظ في حقول دلالية منذ وقت مبكر، على الرغم من أنهم لم يستعملوا المصطلح كما استعمل حديثا لدى الغربيين.

وبهذا يصعب على الدارس أن يفصل بين المعاجم العربية ونظرية الحقول الدلالية نظرا لشدة الشبه بينهما، وإن امتازت الأخيرة بتطور البحث في العلاقات التي تربط بين ألفاظ الحقل الدلالي الواحد، ولم تكتف فقط بالجمع أو الإشارة إلى بعض أنواع العلاقات وهذا ما يؤكد ما سنتناوله في المحاضرة الموالية.

¹ ابن سيده: المخصص، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 15 فما بعدها.

المحاضرة الثالثة عشرة:

نظرية الحقول الدلالية

تُنسب بداية نشأة هذه النظرية إلى العالم الألماني Jost Trier الذي صاغ مبادئها وأسسها في كتابه (المفردات الألمانية في المقياس التصوري للإدراك)؛ حيث سار وفق منهج يتلخص في أن "مجموعة الألفاظ للغة معينة تكون مبنية على مجموعة متسلسلة لمجموعة من الكلمات أو (حقول معجمية)، كل مجموعة منها تغطي مجالا محددًا على مستوى المفاهيم (حقول التصورات)؛ زيادة على ذلك كل حقل من هذه الحقول سواء كان معجميا أو تصوريا فهو متكون من وحدات متجاوزة مثل حجارة الفسيفساء".¹

تتوخى تنظيم المداخل المعجمية وفق دلالاتها في حقول محددة؛ وكان لأفكار دي سوسير الأثر الواضح في بلورة هذه النظرية خاصة ما تعلق منها بأنواع العلاقات بين الكلمات حسب تصنيفه؛ فهناك نوع يقوم على العلاقة الاشتقاقية، ونوع آخر يقوم على العلاقة الدلالية؛ ومثل لذلك بكلمة تعليم التي يمكن جعلها في مجموعة مثل: علم، تعلم، معلم، إعلام... وفي مجموعة أخرى مثل: تربية، تأديب، ثقافة، فكر...² وعلى النوع الأخير قامت نظرية الحقول الدلالية التي تسعى إلى جمع المادة المعجمية كلها، وتصنيفها في حقول دلالية.

1- تعريف الحقول الدلالية عند الغرب:

يُعرف ستيفن أولمان الحقل الدلالي بأنه: "قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة."³ ولقد عبّر عنها بالقطاع لأنها تجتمع تحت صفة مشتركة بينها تحدد مجالها مثل حقل الأدب: شعر، رواية، ملحمة، نثر... إلخ.

فالحقل الدلالي semantic field هو مجموعة من الكلمات المتقاربة في معانيها يجمعها معنى عام مشترك بينها. وتعنى هذه النظرية بإدماج الوحدات المعجمية المشتركة في مكوناتها

¹ كلود جرمان وريمون لوبلان، علم الدلالة، مرجع سابق، ص 54.

² دي سوسير: علم اللغة العامة، ص 142 وما بعدها.

³ أحمد عمر مختار: علم الدلالة، ص 79.

الدلالية في حقل واحد. والهدف من ذلك هو الكشف عن علاقات الواحد منها بالآخر، وعلاقتها بالمصطلح العام.¹ فالغرض إذا من جمع الكلمات تحت مسمى يجمع صفاتها المشتركة، ليس هو الهدف بحد ذاته بل الغرض هو تمييز دلالات الكلمات عن بعضها بعض لتحديد دلالاتها الدقيقة ومعرفة الفروق الدلالية بينها، إضافة إلى معرفة علاقتها بالمصطلح العام الذي جمعها وهو اسم الحقل الدلالي.

ويعرف محمد علي الخولي الحقل الدلالي بأنه: "صنف أو عنوان تتدرج تحته مجموعة كلمات يتراوح عددها بين اثنين وبضع كمئات أو بضع آلاف".² فأقل ما نبني به الحقل الدلالي هو كلمتين فما أكثر، في الوقت الذي تبقى الحقول مفتوحة لعدد غير معين، لأن التطور الدلالي للألفاظ (كما سبقت دراسته) يُسهم في حركية الألفاظ وانتقالها من حقل لآخر.

ومن أهم مبادئ هذه النظرية:³

1- لا يمكن تصنيف الكلمة الواحد في أكثر من حقل.

2- كل الوحدات المعجمية تنتمي إلى حقل معين.

3- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الوحدة المعجمية

4- يستحيل دراسة المفردات مستقلة عن التركيب النحوي.

2- أهمية نظرية الحقول الدلالية ومميزاتها:

لنظرية أهمية كبيرة بالنسبة للسانيات في حد ذاتها لأنها قدمت منها اجرائيا واضحا في معالجة قضايا الدلالة على اعتبار أن الدلالة فرع من فروع اللسانيات، كما أن أهميتها تمتد لشتى المجالات التي تكون اللغة وسيلتها في البحث أو موضوع دراستها كالمنطق مثلا، فقد قدمت للدراسات الأدبية والنقدية مفاهيم إجرائية استثمرت في دراسة النص وتحليله وهذا

¹ المرجع السابق، ص 79-80.

² محمد علي الخولي: علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001، ص174

³ أحمد عمر مختار، مرجع سابق، ص 80.

ما نجده في كثير من الدراسات التطبيقية التي تناولت المدونات التراثية أو الحديثة، فضلا عن ما استفادت منه صناعة المعاجم ويمكن إيجاز بعض هذه الجوانب فيما يأتي¹:

-الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والاختلاف بين الكلمات التي يضمها حقل معين بينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها.

-إن تجميع الكلمات داخل حقل الدلالي وتوزيعها يكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل الدلالي (أي عدم وجود الكلمات المطلوبة لشرح فكرة ما أو التعبير عنها وتسمى بالفجوة الوظيفية)

-توفر للمتكلم أو الكاتب اختيار ما يناسبه من الألفاظ التي يحتاجها لغرضه، لأنها منظمة وفق الموضوعات، مع التميزات الدقيقة لكل لفظ .

-تنظيم اللغة في تجمعات تنفي عنها التسبب والتراكم.

-كشفت عن العموميات والأسس التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها، كما بينت أوجه الخلاف .

-أسهمت في حل مشكلة المشترك اللفظي لأن كل كلمة تنتمي لحقل دلالي واحد .

- تعكس الجانب الحضاري والثقافي، كما أن دراسة التطورات أو التغيرات داخل الحقل الدلالي تعني في الوقت نفسه دراسة التغيرات في صورة الكون لدى أصحاب اللغة.

ومع ما هي عليه من أهمية فإن تطبيقها ليس بالأمر الهين، لما يعترضها من صعوبات؛ تتمثل في صعوبة تحديد الحقول الدلالية، لسعتها وتغيرها تبعا لتغير الحياة الاجتماعية كلها. وصعوبة تحديد الوحدات التي تشكل قسما منها، وصعوبة تحديد الحقول فيما بينها.² إضافة إلى صعوبة ضبط العلاقات بين المداخل المعجمية في الحقل الواحد، لذلك ليس من السهل تحديد الحقل الدلالي وضبطه، وعليه سنقدم الكيفية التي ينبغي إتباعها حتى تتمكن من القيام بذلك.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 110-113.

² كلود جرمان وريمون لوبلان: علم الدلالة إطار جديد، ص 56 .

3- كيفية تحديد الحقول الدلالية:

لتحديد الحقول الدلالية لابد من مراعاة الهدف الذي لأجله نريد تحديد حقل ما، أي يجب تحديد الموضوع الذي يتعلق بهذا الهدف، مثل تحديد حقل للقرابة أو لوسائل النقل، ثم بعد ذلك يجب النظر في المعايير التي على أساسها يتم اختيار وحدة معجمية ما لتكون في حقل بعينه مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار تحديد الحقول فيما بينها وكيفية الفصل بينها.¹ هذه بعض المعايير التي يجب الانطلاق منها لتحديد الحقل الدلالي أما الخطوات الإجرائية فهي كالآتي:²

1 - يجب تحديد الحقول الدلالية الرئيسية كخطوة أولى.

2- بعدها نبدأ في تفريع الحقول الدلالية إلى حقول دلالية فرعية مثل: حقل الأمراض كحقل رئيسي يمكن تفريعه إلى حقول فرعية هي: حقل أمراض الجهاز الهضمي، حقل أمراض الجهاز التنفسي

3- توزيع الكلمات على الحقول الفرعية لا على الحقول الرئيسية، فإن تبين وجود كلمات لا يناسبها أي حقل، فهذا دليل على قصور في عدد الحقول، وبالتالي ضرورة إعادة النظر فيها.

4- لا يمكن أن تظهر الكلمة في أكثر من حقل فرعي واحد.

4- علاقات الحقل الدلالي:

تنظر نظرية الحقول الدلالية إلى طبيعة العلاقة التي تجمع بين ألفاظ الحقل الواحد. وقد توصل الباحثون إلى أهم العلاقات نذكر منها: الترادف، التضاد، الاشتمال، علاقة الجزء بالكل، التنافر. ومعرفة هذه العلاقات يُسهم في تحديد دلالة الألفاظ ويبين طبيعة العلاقة التي تجمع بينها ضمن الحقل الواحد.

¹ المرجع السابق، ص 56.

² محمد علي الخولي: علم الدلالة (علم المعنى)، مرجع سابق، ص 178 - 179.

4-1-الترادف: يعني الكلمات التي تختلف في ألفاظها وتتفق في معانيها مثال ذلك: أمسك، أخذ، قبض، التقط. كما يعرف بأنه؛ الكلمتان اللتان تقبلان التبادل فيما بينها وذلك في كل السياقات أو الاستعمالات وليس في تعبير أو استعمال دون الآخر.¹ فشرط الترادف أن تتبادل الكلمات المترادفة مواقعها في الكلام دون أن يتغير معناها.

وقد اختلف بشأن وجود الترادف في اللغة عند اللغويين العرب والغرب على حد سواء.² لأن التواصل باللغة لا يتطلب وجود مسميان لشيء واحد، بل على العكس من ذلك.

4-2-الاشتمال: هو علاقة تضمن للمعنى الجزئي ضمن المعنى العام.³ يختلف الاشتمال عن الترادف في كونه تضمنا من طرف واحد، بحيث يكون (أ) مشتملا على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي، مثل "فرس" ينتمي إلى فصيلة أعلى "الحيوان"، وعلى هذا فإن معنى الفرس يتضمن معنى "حيوان".⁴

4-3-التضاد: في عرف الاصطلاح العربي القديم هو: اتفاق في اللفظ واختلاف في المعنى، بحيث يكون اللفظ واحد على معنيين فأكثر.⁵ مثل "الجون" يطلق على اللون الأسود والأبيض على حد سواء، و"الظنّ" يطلق على الشك واليقين لأنه اعتقاد بالقلب فإن قوي الدليل كان يقينا وإن ضعف هو الشك.

أما عند علماء الغرب وإن اتفقوا مع التعريف السابق فإن إضافتهم تمثلت في تصنيف تدرجات التضاد، فهو عند جون لاينز ثلاثة أنواع: التضاد التام أو الحاد مثل: أعزب وامتزوج،

¹ كلود جرمان وريمون لوبلان، علم الدلالة إطار جديد، مرجع سابق، 60 - 61.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 62 وما بعدها، وهادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 492 وما بعدها .

³ المرجع السابق، ص 65.

⁴ أحمد عمر مختار: علم الدلالة، مرجع سابق، ص 99.

⁵ هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي، ص 522.

ونكر وأنتى، أما التضاد المتدرج فمثل: كبير وصغير، والتضاد المتبادل مثل: اشترى وباع.¹
وأضاف الباحثون بعده أنواع أخرى كثيرة من التضاد

أما علاقة الجزء بالكل فمثالها علاقة اليد بجسم الإنسان لأنها جزء حقيقي منه، وتختلف عن علاقة الاشتمال لأنها علاقة تضمن لشيء لا يكون جزءا حقيقيا من المتضمن فيه، مثل أن يتضمن حقل الطيور أنواعها كالهدهد مثلا فهو ليس جزء من الطيور وإنما يشمل صنف الطيور.

وفي حالة عدم وجود أي نوع من العلاقات المعروفة بين الكلمات التي يضمها حقل واحد وكل عنصر مستقل عن الآخر في دلالاته مع أنه يجمعه معنى عام بالحقل الذي ورد فيه، ففي هذه الحالة العلاقة بين الكلمات هي علاقة تنافر؛ كحقل الألوان مثلا فالأصفر لا يعني أنه بنفسجي والعكس صحيح، لأن طبيعة العلاقة بين عناصر الحقل الواحد متنافرة أي متباعدة لا علاقة تجمعها سوى العلاقة العامة التي جمعتها في حقل.

هذه أشهر أنواع العلاقات الدلالية؛ وخالصة القول فيها، أنها على قدر من الأهمية الذي يعين على معرفة العلاقات بين الكلمات داخل الحقل، وهذه إضافة نوعية لمعرفة تعمق فهمنا لمعاني الألفاظ ودلالاتها، وطبيعة العلاقة التي تربطها ببعضها. وإن كان قد أثير جدل حولها؛ من حيث أنها بالفعل موجودة في اللغة بالشكل الذي تم تعريفه، فكانت محل خلاف بين القبول والرفض أو القبول بشروط لا يسعنا المقام للخوض فيها.

5- التحليل المؤلفاتي:

إضافة الى دراسة العلاقات الدلالية ضمن الحقل الدلالي هناك تقنية التحليل المؤلفاتي أو ما يسمى "بالتحليل الدلالي"؛² التي تفترض قبول فرضية الحقول الدلالية لأن طرق التحليل المؤلفاتي تبحث عن بناء المعجم بواسطة العناصر المكونة للكلمة.

¹ كلود جرمان وريمون لوبلان، ص 66، للاستزادة في موضوع التضاد وأنواعه؛ ينظر: محمد علي الخولي: علم الدلالة (علم المعنى) ص 115 فما بعدها.

² التحليل الدلالي يعتبر نظرية مستقلة بذاتها؛ لمزيد من التفصيل ينظر: أحمد عمر مختار: علم الدلالة، ص 114 فما بعدها.

ويهدف التحليل المؤلفاتي إلى "دراسة البنية الداخلية لمدلول الكلمات خارج السياق؛ يعني دراسة عناصر أو مكونات الدلالة لوحدة لسانية، ويتعلق بمعرفة الكيفية التي يتم بها ربط الكلمات فيما بينها ابتداء من تكوينها الداخلي"¹ ومثال ذلك كلمة رجل وامرأة :

رجل : اسم / محسوس / معدود / حي / بشري / ذكر / بالغ الخ

امرأة: اسم / محسوس / معدود / حي / بشري / أنثى / بالغ الخ

فكلمة (امرأة) و(رجل) قد اشتركتا في أغلب العناصر المكونة لهما، وكانت السمة الفارقة بينهما هي (أنثى وذكور)، لأجل ذلك اعتبرت المؤلفات هي المكونات الأساسية للكلمة؛ وبالتالي فهي تحدد معنى الكلمة بما تحمله من ملامح أو عناصر تميزها عن غيرها. لذا اعتبر التحليل المؤلفاتي امتدادا لنظرية الحقول الدلالية وذلك لم امتاز به هذا الإجراء في تحديد معاني الألفاظ بمعرفة سماتها المشتركة والمختلفة.

خلاصة القول في نظرية الحقول الدلالية أن بداياتها الأولى كانت عملا تطبيقيا تأسست بفضلها معاجم المعاني، وهي لا تختلف في نسختها الجديدة عن القديمة إلا بالإضافات النوعية المتعلقة بالعلاقات الدلالية، وما أفادته من النظرية التحليلية التي تعتبر امتدادا لها متمثل في طريقة التحليل إلى مؤلفات (التحليل المؤلفاتي).

لذا لا تزال النظرية محل اهتمام الباحثين كإجراء تطبيقي على مختلف المدونات القديمة منها والحديثة، وفي شتى المجالات.

¹ كلود جرمان وريمون لوبلان، مرجع سابق، ص 66 - 67 .

المحاضرة الرابعة عشرة:

الدلالة والتداولية

قبل أن نتعرف على طبيعة العلاقة التي تربط علم الدلالة بالتداولية، لا بد أولاً من معرفة ما هي التداولية؟ وما موضوع دراستها؟ حتى يتسنى لنا معرفة المساحة المشتركة بين العلمين من المساحة التي يختص بها كل علم عن الآخر. وما طبيعة العلاقة التي يمكن أن تربط بينهما؟

1- تعريف التداولية لغة واصطلاحاً:

ورد في مقاييس اللغة لابن فارس فيما يتعلق بالجزر دول أن: "الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فأما الأول فقال أهل اللغة: اندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان ومن هذا الباب تَدَاوَل القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض."¹

أما اصطلاحاً فأول من عرف المصطلح الفيلسوف "تشارلز موريس" عام 1938، فقد اعتبرها مستوى من مستويات الدراسة السيميائية، ويعنى به دراسة العلاقة بين العلامات ومستخدميها، لأن البشر يتواصلون باللغة بوصفها أفضل وسيلة لتبليغ مقاصدهم، لذا تدرس التداولية اللغة " بوصفها ظاهرة، خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت."² وهذا ما يجعلها ملتقى عدة علوم كالفلسفة واللسانيات والاتصال وعلم الاجتماع وعلم النفس... الخ.

تُعرف التداولية؛ بأنها دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ وفي هذا إشارة إلى أن المعنى ليس شيئاً متأسلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في الكلام.³

¹ - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص 314.

² - فرانسواز أرمنكر: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي الرباط، ص 19.

³ المرجع نفسه، ص 14.

بما أن التداولية هي البحث عن المقاصد الخفية. فهي "دراسة ما يعبر عنه أكثر مما ترتبط بما يقال".¹ لأنها تهتم بمعتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمنية، والعلاقات الاجتماعية بين الأطراف؛ لذا تُعرف التداولية بأنها دراسة اللغة مقابل دراسة النظام اللساني.² بما أنها تمثل الجانب الاجتماعي.

"ذلك أن كل عبارة متلفظ بها ينبغي ألا توصف فقط من وجهة تركيبها الداخلي، والمعنى المحدد لها بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التام الإنجاز المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة ووصف هذا المستوى التداولي من هذا القبيل."³

كما "تتوخى تعميق الفهم ببعض الظواهر الخطابية المتولدة عن التواصل، من قبيل الحجاج والاستلزام الحوارية والاقتضاء."⁴ فضلا عن دراستها للأفعال الكلامية الصادرة عن المتكلمين، وذلك بفهم القواعد والمواضع اللغوية والاجتماعية والدينية والعرفية التي يخضع لها الفعل الكلامي الناجح، باعتبار التداولية تنفرد بدراسة اللغة وقوفا على مختلف العناصر النفسية والخارجية للمتكلمين التي تشكل عالم السياق.

ونتيجة لتداخلها بكثير من العلوم فقد اختلفت ترجمة المصطلح في اللغة العربية، نجد: التبادلية، والاتصالية، والنفعية، والذرائعية، والمقصدية، والمقامية، وعلم التخاطب إلى جانب التداولية.

وأفضل هذه الترجمات (التداولية) ويعود استخدام المصطلح كمقابل للمصطلح الأجنبي إلى الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن، فهو أول من استعمل مصطلح التداولية-على حد قوله-وقدمه بديلا، عن المصطلح الغربي (Pragmatics) منذ مطلع السبعينيات؛ "لأنه

¹ جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016، ص17.

² جاك موشلر: القاموس اللساني، مرجع سابق، ص 21

³ فان ديك: النص والسياق -استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني افريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص 19.

⁴ جواد ختام: مرجع سابق، ص18.

يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيي الاستعمال والتفاعل معا.¹ وهما المبدآن الأساسيان للتداوليات التي يعرفها طه عبد الرحمن بأنها "الدراسات التي تختص بوصف، وإن أمكن بتفسير العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية و(مدلولاتها) وبين (الدالين) بها.² أي مستخدميها.

وهذا التعريف في حقيقته، لا يختلف عن تعريف شارل موريس، باعتباره أول من تنبه للبعد التداولي للعلامة، فضلا عن البعدين التركيبي والدلالي؛ فلئن كان البعد التركيبي ينظر إلى العلامة باعتبار قدرتها على الانضواء داخل مقاطع من علامات أخرى وفق قواعد تأليفية بعينها، والبعد الدلالي ينظر إلى العلامة في هذا المجال باعتبار علاقتها بما تدل عليه، فإن البعد التداولي يتولى الطريقة التي يستعمل من خلالها المتلقي هذه العلامة.³

إن التقسيم الثلاثي للعلامة؛ هو تقسيم منطقي متدرج في التوسع (فالدلالة) أوسع من (التركيب) إذ تزيد عليه بعنصر المدلول، و(التداول) أوسع من الدلالة إذ يزيد عليها بعنصر(الناطق)، فتقوم بين هذه المستويات علاقة(استغراق) أو (تضمن أقوى).⁴ وهذا ما يجعل دراسة جميع هذه المستويات مهم في تحديد المعنى.

2-نبذة عن نشأة التداولية:

إذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية فإن الفلسفة التحليلية تعتبر المنهل الأول الذي انبثقت منه، وهي اتجاه فلسفي ركز على موضوع اللغة وجعل مهام الفلسفة البحث في اللغة ويعد " فريجي G.Frege " مؤسس هذا الاتجاه الفلسفي وقد تأثر به مجموعة من الفلاسفة منهم "هوسرل E.Husserl"، " فتيغا نشتاين L.Wittgenstion"، "وأوستن

طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 4، 2010، ص 28¹.

² المرجع نفسه، ص 28.

أمبرتو إكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط 1، 2007،³ ص 56.

⁴طه عبد الرحمن: حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، لبنان، ط1، 011، ص 77

J.Austen "، واتفق هؤلاء جميعا على أن فهم الإنسان لنفسه وعالمه الخارجي يرتكز على اللغة باعتبارها معبرة عن هذا الفهم¹.

لكن أول من استعمل مصطلح التداولية "شارل موريس" سنة 1938، حيث ميّز مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي: علم التراكيب، علم الدلالة، والتداولية؛ حددها في دراسة العلاقة بين العلامات ومستخدميها.²

غير أن التداولية لم تصبح مجالا يُعتد به في الدرس اللغوي إلا في العقد السابع القرن العشرين بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة هم (أوستن Austin، سيرل Searle، وجرايس Grice).³ وتعتبر الولادة الحقيقية للتداولية عام 1955 عندما ألقى "جون أوستن" محاضراته في جامعة هارفارد، فهو يعتبر المؤسس الأول لنظرية الأفعال الكلامية.⁴ ثم جاء الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" وأضاف تعديلات وتحسينات على هذه الجهود أعقبها أعمال أخرى كثيرة أسهمت في تراكم معرفي لا يزال محل اهتمام إلى يومنا هذا.

3- علاقة الدلالة بالتداولية:

بعد أن تعرفت على مفهوم التداولية، كما أن مفهوم الدلالة هو أول ما استفتحت به محاضرات هذا المادة، نأتي الآن للبحث عن طبيعة العلاقة بين الدلالة والتداولية حسب ما توفر لدينا من آراء بعض الباحثين.

فمن التفريقات المقترحة بين علم الدلالة، والتداولية أن الأول يدرس المعنى، والثاني يدرس الاستعمال، ويرتبط الفرق بينهما بالفرق بين الجملة والقولة، وهو فرق ناشئ عن

¹ ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2005، ص 20-21.

² ينظر: آن روبول، جاك موشر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل تر: سيف الدين دغفوس-محمد شيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص 29.

³ محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص9.

⁴ - أن روبول وجاك موشر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، مرجع سابق، ص 29.

التمييز بين اللغة والكلام، فبينما تنتمي الجملة (التي هي كيانات لغوية مجردة) إلى اللغة، تنتمي القولات (التي هي تجليات فعلية وتحققات عملية للجملة) إلى الكلام، وكما سبق الإشارة إليه فإن معاني الجمل هي موضوع علم الدلالة في حين أن معاني القولات هي موضوع التداولية.¹ وهو بذلك يتميز عن علم الدلالة الذي يدرس المعنى وفقا للوضع فقط وبمعزل عن السياق، والمقامات التخاطبية.

"فالمعاني اللغوية (التي هي معان وضعية تفهم من مفردات اللغة، وتراكيبها) تنضوي في إطار اهتمامات علم الدلالة؛ لأن استنباطها لا يحتاج إلى عناصر خارج البنى اللغوية، أما مقاصد المتكلمين فلا يمكن التوصل إليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام، ومعرفة المخاطب والمخاطب، وإعمال القدرات الاستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عند التعامل مع الكلام."²

فإذا ارتبطت الدلالة بالجملة، فإن القول يرتبط بالمعنى، ذلك أن دلالة الجملة تعتمد على المكون اللغوي، أما معنى القول؛ فهو دلالة الجملة تُضاف إليها الارشادات السياقية والمقامية التي تنطلق من المكون البلاغي بمراعاة قونين الخطاب.³ وعليه "يمكن تقسيم المعنى إلى قسمين: "معنى دلالي" يعتمد على دلالة مفردات التركيب الخاصة، وما تقدمه للعبارة من معان مرتبطة فيما بينها بضوابط تركيبية من غير ملاحظة للعلاقات التركيبية غير اللغوية المصاحبة للحدث اللغوي، و"معنى تداولي" يتجاوز حدود التركيب ودلالته السطحية فيربط التركيب بمجموعة العناصر المكونة للحدث الكلامي التي يمكن بطريقها توليد معان مقامية عدة تداولية وظيفية."⁴ وعليه يمكن تمثيل ما تقدم شرحه في علاقة الدلالة بالتداولية في الشكل الآتي:⁵

¹ محمد يونس: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، مرجع سابق، ص 14.

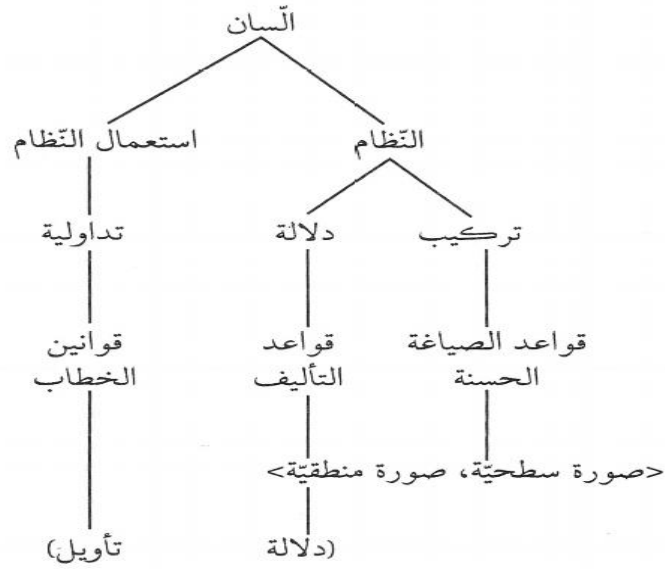
² المرجع نفسه، ص 15.

³ جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 27

⁴ أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر

والتوزيع، لبنان، ط1، 2015، ص 30.

⁵ جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، مرجع سابق، ص 30



يوضح الرسم مستويين في إدراك اللسان: مستوى النظام ومستوى استعمال النظام . ويحدد النظام على أنه متكون من تركيب ودلالة، ويولد التركيب الصور السطحية التي تنتجها قواعد الصياغة الحسنة، وتولد الدلالة صورة منطقيّة بواسطة قواعد التأليف. ويكون المجموع المتركب من صورة سطحية وصورة منطقيّة دلالة الجملة (مقابل معنى القول) وعليه يجب اتمام الدلالة اللسانية، بما تقدمه التداولية. فمهمتها أن تقدم تأويلا تاما للجملة التي كانت موضوع إلقاء القول.¹

ومنه فإن ما وجدناه من فروقات بين الدلالة والتداولية ليس سببا لانفصال العلاقة بينهما؛ بل العكس تماما، هو سببا للتكامل الذي ينبغي أن يجمع بين وظائفهما من أجل استكمال مسار الدلالة الذي توقف في حدود بنية اللغة .

خلاصة القول؛ أن التداولية تمثل الآفاق الجديدة للدرس الدلالي، لأنها استطاعت أن تبني نسقها العلمي بحيث لا يمنعها ذلك من دراسة اللغة أثناء الاستعمال، فكان اهتمامها بكل ما يخص المقام وعملية التخاطب بجميع عناصرهما من المخاطب والمخاطب والظروف التي جمعتهما، فضلا عن اهتمامها بمقاصد المتكلم والسياقات التي وردت فيها، فكانت بحق مجالا خصبا تكاثرت فيه البحوث من مختلف مشارب العلوم.

¹ المرجع السابق، ص 30.

وإن كانت بدايتها الأولى قد اختص بها الفلاسفة فإنها اليوم أفق رحب للباحثين يستثمرون إجراءاتها ومنهجها المعرفي المتنوع (أفعال الكلام -متضمنات القول-الحجاج - الاستلزام الحواري..) في دراسة النصوص على اختلافها، أدبية، لغوية، قانونية، فلسفية... وغيرها . لذا فقد فتحت أبواب الدلالة أمام المعنى ليتحرر من حدود البنية وسجنها إلى فضاء الاستعمال ورحابته.

خاتمة:

في ختام هذه المحاضرات نقدم للطالب خلاصة ما كان ينبغي أن يتوصل إليه من خلال دراسته لعلم الدلالة بمفرداته المبرمجة على النحو المقدم له ، نوجزها فيما يأتي:

-إشكالية المعنى قديمة الطرح لذا ظلت محل خلاف بين الدارسين حسب تخصصاتهم ومشاربهم الفكرية، ولأن علم الدلالة هو العلم الذي يدرس المعنى؛ فقد ظل في معترك الصراع بين العلوم ونظرياتها حتى استقل كعلم قائم بذاته، ومع ذلك ظلت الاختلافات قائمة بين الآراء والنظريات. لذا لا نستطيع الفصل بين المعنى والدلالة وإنما هي وجهات نظر تبحث عن الطرح العلمي الذي توطر به الدراسة العلمية لموضوع الدلالة والمعنى.

- وعليه تباينت مواقف الباحثين، فهناك من يرى أن الدلالة والمعنى مترادفان كما وجدناه عند التراثيين، أما المحدثون فانقسموا إلى فريقين؛ فريق يرى المعنى أعم من الدلالة ونظيره يرى الدلالة أعم من المعنى، فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص.

-إن موضوع التطور الدلاليّ لدليل على أن اللغة أشبه بالكائن الحي الذي ينمو ويتطور، لذا فإن معرفة أسباب التطور ومظاهره هي معرفة وإحاطة بالقوانين التي يمكن استثمارها في حل إشكالية مواكبة اللغة للتطور الحضاري والعلمي الفائق السرعة.

-أنواع الدلالة باب واسع كثيرة فيه التفاصيل، قد أسهمت فيه حاجة الدارسين قديما وحديثا في معرفة الدلالة والتعمق فيها بدراسة كل ما يتعلق بالعلامة اللغوية أو غير لغوية، وكل نوع منهما له أهميته بالنسبة لمجاله. وأنواع الدلالة اللغوية كما قسمها اللغويون هي التي يُمكن استثمارها في دراسة النص مهما كان نوعه، متمثلة في الدلالة الصوتية، الدلالة الصرفية، الدلالة التركيبية، الدلالة السياقية.

-إن معرفة موقع الدلالة من اللسانيات الحديثة هو الذي يفسر لنا سبب تأخر ظهور هذا العلم مقارنة بغيره من العلوم اللسانية، كما توضح الإشكالية التي تطرحها قضية دراسة المعنى وصعوبة الفصل فيها، والأهم من كل ذلك أنها أكدت ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الدلالة في بناء أي نظرية لسانية، يتوخى منها الإفادة العملية وليست النظرية فقط.

-النظريات الدلالية أو نظريات دراسة المعنى هي محاولة من العلماء لتفسير الدلالة وكيفية الوصول إليها بمنهج علمي، لذا فقد بدأت كنظريات عامة تفسر طبيعة العلامة اللغوية كما هو الشأن مع النظرية الإشارية والتصورية. ثم جاءت النظرية السلوكية متأثرة بما استجد في علم النفس السلوكي لتُفسر الدلالة في حدود المنبه والاستجابة.

- أما النظرية السياقية فهي محاولة لاستعادة المعنى من خلال دراستها للسياق وأهميته في تحديد الدلالة دون أن تخرج عن إطار بنية اللغة.

-تُعتبر نظرية الحقول الدلالية منهاجاً إجرائياً في تحديد دلالة الألفاظ، لذا كانت قسيماً مشتركاً بين مختلف الجهود العربية وغربية. وجميع هذه النظريات قد أسهمت في تطور البحث العلمي بخصوص موضوع الدلالة.

-آخر الختام كان لحظة مشرقة في حديث "الدلالة والتداولية" لأن هذه الأخيرة عند بعض الباحثين ما هي في حقيقتها إلا امتداداً للدرس الدلالي الذي من المفترض أن لا يقتصر على دراسة المعنى في حدود بنية اللغة، وإنما يمتد إلى تقصي أثره حيثما وجد في المقامات الكلامية واستعمالاتها المختلفة، لذا فقد جاءت التداولية لتكمل الطريق الذي توقفت عنده الدلالة بحجة العلمية الواهمة.

قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط5، 1975.
- 2- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط5، 1984.
- 3- ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، دت.
- 4- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دت.
- 5- ابن سيده: المخصص، دار الكتب العلمية، لبنان، دت.
- 6- أبو الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، 1979.
- 7- أحمد عزوز: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2002.
- 8- أحمد عمر مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، مصر، دت.
- 9- أحمد عمر مختار: علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط5، 1998.
- 10- أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2015.
- 11- أحمد متوكل: اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري، دار الكتاب الجديدة، لبنان، ط2، 2010.
- 12- أحمد متوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، د ط، 1987.
- 13- أحمد نعيم الكرايين: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط، 1993.
- 14- أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005.

- 15- الجاحظ، أبو عمر بن بحر: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998.
- 16- الشريف الجرجاني علي بن محمد: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، دت.
- 17- أمبرتو إكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط1، 2007.
- 18- آن روبول وجاك موشر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل تر: سيف الدين دغفوس ومحمد شيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003.
- 19- أوغدن ورتشاردز: معنى المعنى، تر: كيان أحمد يحي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2015.
- 20- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، مصر، ط3، 1998.
- 21- ج. فنديس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، المركز القومي للترجمة، 1889.
- 22- جاك موشر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين دار سيناترا، تونس، ط2، 2010.
- 23- جلال الدين السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ضبطه وصححه: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998، م1.
- 24- حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة-مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، دار الشروق مصر، ط2، 2000.
- 25- دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق العربية، العراق، 1985
- 26- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي-مظاهره وعِلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1997.

- 27-سايون كلارك: أسس البنيوية - نقد ليفستراوش والحركة البنيوية، تر:سعيد العليمي، دار بدائل للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015.
- 28-ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر، 1975.
- 29-سيبويه، أبوبشر عمر بن عثمان: كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988، ج1.
- 30-صابر الحبابشة: تحليل المعنى-مقاربات في علم الدلالة، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011.
- 31-صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، مصر، دت.
- 32-صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2015.
- 33-صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، مصر، ط1، دت.
- 34-طه عبد الرحمن: حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط1، 2011.
- 35-طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط4، 2010.
- 36-عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب -دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1994.
- 37-عبد السلام مسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس 1986.
- 38-عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: مقدمة في علم أصوات العربية، الجريسي، مصر، ط3، 2004.

- 39- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار الجيل، لبنان، ط1، 2004.
- 40- عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط4، 1983.
- 41- عبد المجيد جحفة: علم الدلالة الحديث، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2000.
- 42- عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة للطباعة والنشر، لبنان، دت.
- 43- فان ديك: النص والسياق-استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق، المغرب، 2013.
- 44- فايز الداية: علم الدلالة العربي-النظرية والتطبيق، دار الفكر، سوريا، ط2، 1998.
- 45- ف.ر. بالمر: علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.
- 46- فرانسواز أرمنكر: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، المغرب.
- 47- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، والتوزيع، مصر، 2000.
- 48- ماري آن بافوجورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2012.
- 49- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984.
- 50- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.
- 51- محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ط1، 1996.
- 52- محمد علي الخولي: معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، 1986.

- 53- محمد علي التهناوي: كشاف مصطلحات العلوم، نسخة مصورة من موقع المكتبة الوقفية <https://waqfeya.com/book.php?bid=6153>
- 54- محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2001.
- 55- محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004.
- 56- محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة ليبيا، ط1، 2004.
- 57- محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط2، 2007.
- 58- محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، ط2، 2011 .
- 59- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2005.
- 60- مشتاق عباس معن: المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001.
- 61- منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001.
- 62- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الجامعية، مصر، 2002.
- 63- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1978.

64-نوم جومسكي: البنى النحوية، تر: يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة،
بغداد، ط 1، 1987.

65-هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع،
الأردن، ط 1، 2007.

فهرس المحاضرات

الصفحة	العنوان	رقم المحاضرة
أ-ت		مقدمة
04	مدخل (بين الدلالة والمعنى)	المحاضرة 01
11	إشكالية الدلالة بين التطور والتغير 1: الأسباب	المحاضرة 02
21	إشكالية الدلالة بين التطور والتغير 2: المظاهر	المحاضرة 03
25	الدلالة اللغوية وغير اللغوية	المحاضرة 04
32	الدلالة واللسانيات الحديثة 1	المحاضرة 05
39	الدلالة واللسانيات الحديثة 2	المحاضرة 06
42	الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية	المحاضرة 07
53	الدلالة التركيبية والسياقية	المحاضرة 08
59	نظريات دراسة المعنى 1 (التصورية، الإشارية)	المحاضرة 09
64	نظريات دراسة المعنى 2 (السلوكية)	المحاضرة 10
68	نظريات دراسة المعنى 3 (السياقية)	المحاضرة 11
73	الحقول الدلالية في التراث العربي	المحاضرة 12
78	نظرية الحقول الدلالية	المحاضرة 13
85	الدلالة والتداولية	المحاضرة 14
92		خاتمة
94		قائمة المراجع
100		فهرس المحاضرات